

سلسلة أعلام حضرة

# الأستاذ الأعظم

الفقيه المقدم

( ٥٧٤ - ٦٥٣ هـ )

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث  
أربطة التربية الإسلامية - عدن



الأستاذ الأعظم  
الشيخ المقدم

حقوق الطبع محفوظة للناشر  
مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث  
الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م

سلسلة أعلام حضرة ٥

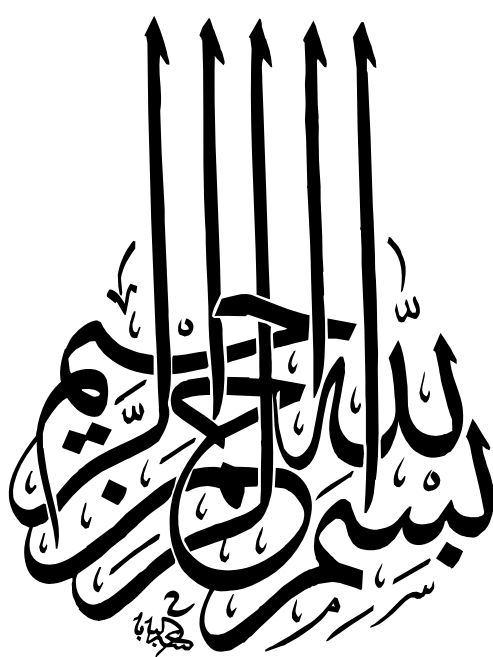
الْأُسْتَاذُ الْأَعْظَمُ

الْفَقِيْهُ الْمَقْدَمُ

( ٥٧٤ - ٦٥٣ هـ )

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن عكي المشهور



## المطلع القرآني

---

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ . إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ . لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

[فاطر: ٢٧-٣٠]



## شَاهِدُ الْحَالِ

---

فَأَحْوَالُهُ قَدْ أَبْهَرَتْ كُلَّ عَارِفٍ  
مَعَارِفُهُ فِي الْعِلْمِ عَالِيَةُ السُّمُكِ  
أَبِي الْأَوَّلِيَا رَاقِي الْعُلَا عُمْدَةُ الْمَلَا  
وَهَا هُوَ فِي الْأَقْطَابِ وَاسِطَةُ السُّلُوكِ  
وَكَنْزُ النَّدَى مَجْلَى الصَّدَى شَمْعَةُ الْهُدَى  
إِذَا مَا بَدَا لِلْخَلْقِ فِي ظُلْمِ الْحُلُوكِ  
وَبَدْرُ هُدًى مُحْزِي الْعِدَا مُذْهَبُ الرَّدَى  
عَظِيمُ الْمَدَى الْمَأْمُولُ فِي الْمَوْقِفِ الضَّنْكِ



( 人 )

## الإهداء

---

إلى رُوح سيّدي الفقيه المُقدّم..  
إلى مَنْ سُمّيَ بالأستاذِ الأعظمِ لأنه جَدِيرٌ بالاستاذيةِ  
والإعظام..  
إلى الذي حوّلَ مسارَ السفينةِ عرضَ المحيطِ الهائجِ فوجهها  
إلى برِّ الأمان..  
وإلى أحفادهِ البررةِ الذين لا زالوا يَحْمِلُونَ في قُلُوبِهِمْ وقَوَائِبِهِمْ  
خَفَقَ الإيمانِ بحقيقةِ ارتقاءِ رَكْبِ السلفِ الصالحِ إلى أعلى  
مقاماتِ الإحسانِ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ  
فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ..

المؤلف





## المقدمة

الحمد لله ومنه المَدَدُ في كل أمرٍ يُراد . وبأمره تتحرك الأسبابُ  
في تسييرِ اختيارِ العباد، والصلاة والسلام على القدوة الأمثل،  
والأسوة الأكمل، الذي جعله الله إمامَ الأولياء، ومثالَ الأتقياء،  
سيدنا محمد بن عبد الله صفوة الأصفياء، وعلى آله وأصحابه ومن  
تبعهم بإحسان، على قدم الإسلام والإيمان والإحسان، إلى يوم لقاء  
الملك الديان .

وبعد فهذه ترجمة موجزة لأحد أعلام آل البيت النبويِّ  
بحضرموت، ضمَّنتها حسب استطاعتي واستعدادي أهم ما أبرزه  
العصر آنذاك من هممة الرجال وعطائهم الفكري والاجتماعي،  
وخصوصاً مثل هذا الإمام الجَهِيد الذي كان له الأثرُ الفاعلُ في  
تحوُّل مدرسة بكاملها من أسلوبٍ منهجيٍّ إلى آخر .

وبرغم أن « المدرسة الإسلامية » واحدة في أصولها إلا أنَّ نماذجَ  
الفكرِ المندرج تحت هذا الشعار الواحد جعلَ للأفذاذ في التاريخِ  
مواقفَ يستخلصون منها وبها النجاة المحققة من ثائرة الفتن في الدنيا  
وطائفة العذاب يوم القيامة . فجاءت مدرسة التصوف العلوية  
بحضرموت، وكانت إبان ذلك العهد مطلباً وغاية، ولهذا شَقَّتْ



طريقها في ثبات ونجاح، وكان فيها رجال إذا رؤوا ذَكَرَ اللَّهَ،  
تُخَرَّسُ أمامَ أنوارهمُ الفَيَّاضَةِ وأعمالهمُ الصالحةِ كُلُّ لسانٍ مُعْتَرِضَةٍ،  
وَكُلُّ وُقُوعَةٍ مُغْرِضَةٍ، ونحن اليومَ نكتبُ عن نماذجها الأمثل، في  
عصرٍ تغيّرت فيه المفاهيمُ والمقاييس .

وليس غرضنا أن نُلزِمَ الناسَ بهذه الطريقِ إلزاماً، وإنما نحن نَصُدُّ  
هجمةَ الكَذِبِ المشينِ التي تَبَنَّاها كثيرٌ من حَمَلَةِ الأَقلامِ ورموزِ  
الإعلام، الذين جعلوا همَّهم وشغلهم وتكوينَ شخصياتهم مبنياً على  
تحقيرِ الأسلافِ وتبعيةِ تراتٍ وعيوبٍ وإشكالاتِ أقوالهم وأعمالهم،  
فشغلوا جيلَ العصرِ عن بناءِ الإسلامِ الحقِّ « دينا ودولة » بأقوالٍ لا  
تُسمِنُ ولا تُغني من جوع .

ورغبتنا هنا أن يتأملَ القارئُ ما كتبناه ثم يعرضه على حقائق  
دعوة الإسلامِ . بمنظورِ الإسلامِ لا بمنظورِ فقهاءِ القَصَّةِ علماءِ  
الإعلام، فيجد أن الشيوخَ الماضينَ كانوا حقاً على الطريقِ الأقوم،  
وأنا في أمسِّ الحاجةِ للاقتداءَ والاتباعَ دون إفراطٍ ولا تفريطٍ .

## من هو الفقيه المقدم ؟

هو الشيخ الإمام، والأستاذ الهمام، صاحب القدر الجليل، والمقام الحفيل، المعروف بوفور علمه، وسعة حلمه، وصدق عمله، وسلامة توجّهه القلبي والقلبي لحضرة ربه، الذي نال رتبة «الأستاذية العظمى» بجدارة واكتمال كل الشروط . وهو أول من أطلق عليه هذا اللقب الجامع في سلسلة بني علوي لما بلغ إليه من العلم والعمل، ولأنه أول من حمل لواء التصوف في حضرموت وحول به مجرى الحياة الفكرية خلال عصره وما تلاه من العصور بعد ذلك .

كان مولده بمدينة تريم سنة ٥٧٤، ونشأ بها وترعرع في مجتمع موفور الهداية والإيمان، فحفظ القرآن وجملة من المتون في شتى العلوم والفنون، واستفرغ وقته وجهده في الإطلاع على كل علم مكنون، كما امتلأ منذ صباه بما رآه من بركات العلم والعمل به في محيط أبويه وأسرته، وكذلك في مجموع سلوك أهل بيته حيث يتشابه المجتمع في الأخذ بالعزائم، وانتهاج رياضة النفوس وترويض الغرائز .

فانتقل بهذا العزم من طور إلى طور ومن حال إلى حال، مستصحبا اهتمامه بكافة العلوم من القرآن والتفسير والحديث وعلوم



الآلة وغير ذلك، حتى برزت علامات النبوغ عليه، وأشارت أصابع الاجتهاد متوجهةً إليه، وبرز في محيط الطلب على أقرانه متفوقاً، وفي السلوك والعمل الصالح مجتهداً ومنطلقاً، فلم يثنه ذلك عن الاستمرار في الأخذ عن الشيوخ الأكابر، بل ظلّ متعلقاً بهم آخذاً على أيديهم علوم الباطن والظاهر، وكان جلُّ اهتمام الشيوخ آنذاك بالعلوم الظاهرة وتحقيقها .

وكان من أجل شيوخ ذلك العصر ومن أكبر مشايخ المصر الشيخ العلامة علي بن أحمد بامروان<sup>(١)</sup>، والشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن باعبيد الترمي<sup>(٢)</sup>، والشيخ القاضي أحمد بن محمد

---

(١) هو الشيخ الحجة العالم العامل علي بن أحمد بن سالم بن محمد بن علي بن سالم مروان الترمي الحضرمي صاحب التصانيف العظيمة والفتاوى المفيدة والبديعة، كان من أكابر أئمة العلم بتريم في عصره مع زهده وورعه واتساع باعه في علوم الأصول والحديث والتفسير واللغة، أخذ عنه الفقيه المقدم أخذاً كاملاً وكان يخصّه بمزيد من الرعاية والعناية، ويلحظ فيه سمات النبوغ والفطنة والذكاء، وأدرك من خلال معاصرته ومناقشته إياه ما يتمتع به من قوة الحفظ والاستيعاب، وما منحه الله من فهم ثاقب ورأي صائب، حتى شهد له بعد نضوج معرفته وكمال أخذه بقوله : « اجتمعت فيك يا فقيه شروط الإمامة كلها » .

(٢) كان من أبرز شيوخ الأصول والحديث والتفسير والعقائد وعلوم القرآن واللغة، بل ذكر أنه بلغ رتبة الاجتهاد واعترف له علماء عصره في حضرموت واليمن والحجاز

باعيسى، والإمام العلامة الفقيه سالم بن فضل، والسيد العلامة الحافظ علي بن محمد بن جديد، والشيخ العلامة محمد بن أحمد بن أبي الحب، وغيرهم من شيوخ تريم الذين أخذ عنهم وارتوى من مشاربهم، حتى شهد له الجميع بالاقتدار والجدارة، وصاروا يقدمونه ويلحظون في ملامحه الصدارة، وهم لا يعلمون ما يُكنه الله في علمه عن مستقبل هذا الفقيه، وما سيُجريه الله من الأمور على يديه.

وكانت حضرموت آنذاك كغيرها من بلاد الإسلام تزخر بالفتن، وتغلي مشرقاً ومغرباً بالأذايا والحن، والعين ملتفتةٌ آنذاك إلى «آل البيت النبوي»، ولم يكن في حضرموت أحدٌ سوى ذرية الإمام

---

بطول الباع في كافة العلوم، وقد ذكر صاحب «شرح العينية» أن الشيخ المذكور لما زار الحرمين الشريفين اجتمع في مكة مع فقهاء كثيرين، وألقى عليهم أحد كبار علماء الحرم مسألةً دقيقةً فلم يجبه عليها إلا الفقيه أبو عبيد المذكور، فقال له ذلك العالم: أظن أنه ما على وجه الأرض من يجيب مثل هذا الجواب إلا أن يكون الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عبيد التريمي، فقال: أنا هو.

أخذ عنه الفقيه المقدم أخذاً تاماً وانتفع به انتفاعاً جماً ونال منه الإجازة والسند والاهتمام الكلّي، وقد جاء في «العقد النبوي» ص ٢٧٥ ما يفيد أن الشيخ أباعبيد كان لا يبتدئ درسه حتى يحضر الفقيه المقدم، ومن آثار هذا الشيخ كتاب «الإكمال على التنبيه»، ذكره الإسنوي في «طبقاته».

المهاجر، ترمقهم عيونُ الناس بالمحبة والإجلال، وتُكنُّ لهم العطفَ والتقديرَ وتفديهم بالحال والمال، وكانوا آنذاك قلةً قليلةً بين بقية الناس . وكان الإمام الفقيه المقدم قد استشفَّ وأدرك من خلال معاصرته للحياة وفهمه الثاقب أنَّ «آلَ البيت النبوي» مستهدفون آنذاك، خصوصاً من أعينِ الحاسدين والمنافسين اللذين يرقبون الأمور ويرفعون الأخبار إلى عواصم الخلافة، فخشى أن يُظنَّ بهم وهم على مظهر الحلم والعلم ومحبة الخلق والتفافِ الناس حولهم أن يبرزَ فيهم من يطالبُ بالأمرِ وينافس أهل الأمر في السلطان، وإذا ما استُفْزُوا وأوذوا واتَّهِمُوا في شيءٍ من ذلك فقد يلجؤون للدفاع عن أنفسهم واستخدام السلاح الذي كان جزءاً من حياتهم، حتى قيل : إنَّ الفقيهَ المقدم كان يجلس بين يدي شيخه بامروان وسيُفه على فخذيه . وإذا ما تحقق هذا الظن لدى المتربصين فالواقعُ المحيطُ كُلُّه يحمل السلاح . وبإشارةٍ معينةٍ يمكن أن يعودَ للتاريخ مثالٌ جديدٌ وصورةٌ متكررةٌ ليوم «كربلاء» في حضرموت، والجراحُ ما زالتْ طريةً لم تجفَّ على مدى التاريخ .

وكما قدح ذهنُ الإمام المهاجر يوماً وهو «بالبصرة» ليتَّخذَ قراراً حازماً يُخرج به ذريته من محيطِ الفتنة فقد قدح ذهنُ الفقيه

المقدم لاتخاذ أمرٍ ما يحفظ هذه الذرية المباركة من الذوبان في الواقع الملتهب.

أخذ القرارُ يعتمَلُ في نفس الفقيه المقدم شهوراً عديدةً وهو الأستاذ المطلع على كافة النماذج الفكرية والسياسية القائمة في أطراف بلاد الإسلام، يقارن ويوازي بين الحال القائم والمفترض، ويبحث عن المخرج السليم، والرأي الصائب الحكيم، الذي لا يمكن التحول عنه ولا الرجوع . فلم يجد شيئاً يأنسُ إليه فؤاده، ويرتاح إليه ضميره مثل الأخذ بمنهج الفقر إلى الله وترك الرياسات، وهذا إلا يأتي إلا بأخذ المنهج الصوفي .

ولم يكن « التصوف » جديداً على ذرية المهاجر، فقد أثار أن أول من تنفس الأنفاس الصوفية بحضرموت هو الإمام عبيد الله بن أحمد المهاجر بعد عودته في النصف الثاني من القرن الرابع من مكة المكرمة بعد أخذه العلم عن الشيخ «أبي طالب المكي» المتوفى سنة ٣٨٦، وقراءته عليه كتابه «قوت القلوب»، وجاء من بعده الإمام سالم بن بصري بن عبيد الله، وكان من رجال الأنفاس الصوفية علماً وعملاً؛ لكن هذه الأنفاس الفردية لم تتخذ في الواقع تأثيراً



شاملاً مدرسةً ومنهجاً<sup>(١)</sup> بل اتخذ شكلاً وراثياً عائلياً في « ذرية آل باعلوي » .

**الفقيه المقدم والشيخ سعد الظفاري**  
والفقيه المقدم كما أنه إمام مجتهد ومحدث وأصولي بارع، فهو أيضاً الصوفي الذائق صاحب الحس المرهف والشفافية الروحية الملتهبة، مثله مثل غيره من أهله وأسلافه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سبق أهل اليمن في تهامة وزبيد والمراوعة وغيرها إلى الأخذ بالتصوف، وتحول في عصر أبي الغيث بن جميل ومحمد بن إسماعيل الحضرمي وغيرهم في عصر الفقيه المقدم إلى «مدرسة مؤثرة في الحياة»، إلا أن أهل حضرموت لم ينقلوا منهج هذه المدرسة التي كانت تنتمي إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني والتي كانت منتشرة في كثير من بلاد الإسلام .

(٢) الطريقة الصوفية العلوية لها طريقتان : واحدة متسلسلة بالآباء والأجداد إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتسمى طريق الأخذ، وتبدأ من الأسفل عن الفقيه المقدم إلى أبيه وعمه علوي ثم صاحب مرباط ثم إلى سيدنا علي خالع قسم، ثم إلى أبيه علوي، ثم جده محمد، ثم علوي صاحب سمل ثم عبيد الله بن أحمد المهاجر، ومن المهاجر إلى آبائه وأجداده : عيسى ثم محمد ثم علي العريضي ثم جعفر الصادق ثم محمد الباقر ثم علي زين العابدين ثم الحسين والحسن ثم الإمام علي ثم إلى فاطمة بنت الرسول، وإلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأساس

إلا أن صوفية الفقيه المقدم كانت بارزة في سلوكه وتوجهاته منذ صباه متأثراً بالمعاني الراقية التي يقف عليها في كتاب الله وتندرج معانيها في نفسه، كما تأثر بسعة الاطلاع والملاحظة والقراءة والمعاصرة على كثير من نماذج التنفسات الصوفية في عصره، فبدأ ذهنه ينقدح بالحقائق والمعاني الفائقة غير مُتَمِّمٍ إلى مدرسة معينة غير مدرسة أهله وأسلافه الذاتية، وبدأت تلك الحقائق والمعاني تَشْغُلُهُ وتُرْعِجُهُ وتُلِحُّ عليه في معرفة غامضها و حل إشكالاتها، فلم يجد في محيطه من يشتغل بهذا العلم أو يُلقِي به بالا، فكتب إلى الشيخ العلامة الصوفي سعد بن علي الظفاري ثم الشحري<sup>(١)</sup> يسأله في بعض المسائل الدقيقة . وما يجده في نفسه وحاله من الإشراقات . فرأى الشيخ سعد أن الفقيه المقدم قد خاض بحراً عميقاً من بحور

---

هذه الطريق قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي».

أما الطريق الثانية فهي « الطريقة المغربية الشَّعْبِيَّة »، وسنتحدث عنها خلال هذا الكتاب، وكون الطريقين تبدأ من الفقيه المقدم لأنه أول من جمع بين طريقتين ثم حوَّلهما إلى منهجٍ عمليٍّ ومدرسةٍ سلوكيةٍ في الحياة، إذ كانت من قبل مذهباً ذاتياً وخلقاً فردياً.

(١) توفي الشيخ سعد بن علي الظفاري ثم الشَّحْرِيّ سنة ٦٠٧، ويستفاد من ذلك أن مكاتبة الفقيه له وقعت والفقيه في مقتبل العمر ؛ لأن الفقيه توفي سنة ٦٥٣ .

العلوم المكنونة، وتحدث بأمور سلبت عنه كثافات البشرية وارتقت بحاله إلى عالمٍ نُورانيٍّ غير معهود في مدرسة حضرموت السائدة « لا حالاً ولا مقالاً » .

ولما كان الشيخ سعد من رجال التسليك والتأديب فقد خشي أن يكون هذا الأمر الذي حل بالفقيه « غلبة حال » أو « تسويات نفس بشرية »، فكتب إلى الفقيه المقدم يحذره من مكائد الشيطان ويخوفه ويذكر له قصص بعض المستدرجين كبلعام بن باعوراء وغيره، كل ذلك مخافةً عليه ومحبةً له .

وكان موقف الشيخ سعد موقف « الحجة » الذي يلزمه الإبلاغ قبل الوقوع في المحذور، ولكن الحال الذي يصفه الفقيه المقدم للشيخ كان لا ينطوي تحت هذه العلل الشيطانية والتسويات النفسانية، ولهذا لم ينقطع عن الكتابة للشيخ سعد بل ظل يخبره بما ينقذ في قلبه من الفهوم، وما يشرح الله به صدره من المنطوق والمفهوم، شاهده قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ ﴾ .

فما كان من الشيخ سعد إلا أن ألقى الشراع، وأدرك أن الحال الذي يصفه الفقيه المقدم « مقام إحسانيٍّ وعطاء ربانيٍّ » يتجلى معناه في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لبعض صحابته : « لو

كنتم كذلك لصافحتكم الملائكة « فكتب إليه جواباً يقول فيه : »  
فلا تجد علي يا فقيه في هذا فهو محبة ونصيحة، وقد شرحت لك ما  
قدّر الله، فهو المعين على جميع الأمور، نسأله لك ولنا أن يوفقنا لما  
يحبّه ويرضى، وأن لا يجعل للشيطان علينا سبيلاً، وأن يُرينا الحق  
حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويعيننا على اجتنابه، ثم إني أقول  
لك قول ناصح محبّ مشفق أن لا يكون قلبك متعلقاً بالكرامات  
ولا غيرها، ولا تلتفت إليها ولو ظهرت لك أيّ ظهور، وليكن  
قلبك متعلقاً بمحبة الله تعالى، وإلزم حالك الذي أنت عليه ولو  
قامت عليك القيامة، ولو رأيت أيّ هول فلا يهولنك، وكلمنا  
عرض عليك شيء فزنه بميزان الشرع وكتاب الله، فما وافق الحق  
فاتبعه وما لم يوافق الحق فاتركه . وأنت يا فقيه أهدى من أن  
تُهدى إن شاء الله وأعلم بالشرعية والحقيقة <sup>(١)</sup> .

---

(١) الحقيقة هي عماد النظرة الصوفية، وقد كتب فيها أهل الشأن بما لا يحتاج إلى  
المزيد، ونلخص هنا ما كتبه الأستاذ الدكتور الشرفاوي في بحث « الشرعية  
والحقيقة »، ومفاده تلازم الأمرين عند الصوفية، فالطريق إلى الله عندهم واحد،  
فإذا كانت الشريعة هي الرسم والخريطة والدليل، فإن الحقيقة هي الصدق  
والإخلاص في سلوك طريق الحق بحيث لا يكمل البناء الصوفي إلا بهما معاً،  
فشريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة . اهـ نقلت عن «دراسة



## الفقيه المقدم والشيخ سفيان اليميني<sup>(١)</sup>

وأثناء هذه المرحلة قَدِمَ الشيخُ سفيان اليميني لزيارة حضرموت، ونزل تريم، واجتمع بكثيرٍ من صلحائها وعلمائها وألزموه أن

---

وتحقيق ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني « للدكتور يوسف زيدان ص ٩٠ .  
(١) كان فقيهاً عالماً فاضلاً عارفاً اشتغل في بداياته بالعلم اشتغالاً كلياً، وترجم له الشرحي في « طبقات الخواص » ص ١٤٦ - مطبوع - تحت عنوان [أبو محمد سفيان بن عبد الله الأبيني] وهي إشارة إلى بلده الذي ولد بها، وهي مدينة أبين شرقي عدن، وأما نسبه فيؤخذ منها أنه ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح هو به في قصيدة له يقول فيها :

سَلَكْتُ مُتَابِعاً آثَارَ حَدِّي مُحَمَّدٍ الْمُشَفَّعِ فِي الْعَادِ

وقد ترجم له السيد حامد الحداد ترجمة موجزة طبعت سماها « الفرائد الحسان في مناقب الشيخ سفيان » ، ونقل فيها نقلا عن كتاب « مناقبه الكبرى » المفقود أن الشيخ سفيان رحل إلى المغرب لطلب العلم وأخذ الطريقة عن الإمام أبي مدين، وقد ذكره الإمام اليافعي في كثير من مصنفاته وأثنى عليه كثيراً، وقال: وأما وصوله إلى مصر فقد بلغني أنه إنما سافر إليها ليحضر الجهاد بدمياط وكان فتح المسلمين على يده . ويقول عنه أيضا : كثرة رحلات الشيخ سفيان إلى كثير من البلدان في بدايته وفي نهايته لا يشك في كثرة من أخذ عنهم ومن أخذوا عنه وإن لم يحفظ لنا التاريخ إلا النزر القليل .

وقد توفي الشيخ سفيان سنة ٦٠٢ بلحج وتربته هناك من التراب المشهورة المقصودة بالزيارة، وتقام له زيارة مشهورة في ربيع الأول كل عام .

يستسقي بهم، فقال لهم: انزلوا أصلحوا مجاري الماء وطُرقه، فخرجوا فإذا السبيل في مجاري أرضهم وسواقي بساتينهم وحدائق نخلهم كرامةً من الله تعالى للشيخ سفيان اليميني.

واجتمع الشيخ سفيان في تلك الزيارة بالفقيه المقدم محمد بن علي وهو إذ ذاك في أول فتحه ومبتدأ ظهور حاله، فحصلت بينهما مذكراتٌ وانبساطاتٌ، واستمد كل منهما من الآخر مدداً عظيماً، ثم لما رحل الشيخُ سفيانُ أرسل إليه الفقيه المقدم كتاباً يشتمل على لوامعٍ من النور المكنون، فلما وقف عليه الشيخ سفيان قال في جوابه إلى الفقيه كلاماً لأمعاً معناه أو قريبٌ منه : « إنَّ هذا شيءٌ لم نعرفه، ومقامٌ لم نبلغه »<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخذت مسألة « إشكال الحال » طرفاً كبيراً في مساحة التراجم، والمقصود بها حديث الولي في أدق مسائل الحقائق أو الكلام عن كشوفاتٍ جليةٍ وأنوارٍ وعوارضٍ نورانيةٍ ومناماتٍ وغير ذلك تظهر للمرء مع بدايات سلوكه ومع كثرة الصيام والأوراد والعبادات، بحيث تسمو النفس وتصفو من الكثافات البشرية المعتادة، فتبرزُ هذه الرياضاتُ « أحوالاً مشكلةً عند الناس » لعدم معرفتهم بها .

أما الأولياء والعلماء فلا يجزمون فيها بحالٍ قاطعٍ خشيةً التلبيس، كما هو قول الشيخ سعد الظفاري والشيخ سفيان اليميني في حال الفقيه المقدم، وأضاف صاحب «العقد النبوي» حكاية قال فيها : إن ثلاثةً من الرجال اشتهروا في

ويبدو أن الإمام الفقيه المقدم استغرقتة الأحوال من جهة، وشغله القلق من مجرى الصراع الدموي في ساحة الأمة على المناصب

---

حضر موت، وهم الفقيه المقدم والشيخ عبد الله بن إبراهيم قشير، ورجل غريب، وأشكل حالهم على الناس، فسافر بعض المشايخ إلى الغيث ابن جميل وهو إذ ذاك بيت عطاء، وسأله فقال: أما الفقيه محمد بن علي باعلوي فما وصلنا إلى درجته حتى نصيفها لك، وأما الشيخ أبوقشير فرجل صالح، وأما الرجل الغريب فليس على شيء. اهـ من «العقد النبوي» ص ٣٠١ .

وذكر «العقد النبوي» ص ٢٧٤ إشارةً بينةً لموقف أحد المؤلفين المعارضين لما ظهر من أحوال الفقيه في بداية سلوكه : « فليت شعري ماذا يقول مصنف كتاب «تحفة المرید». بما أمد الله الشيخ القطب الفقيه محمد بن علي باعلوي في هذه المدة المديدة والعمر الطويل من عظيم المدد في كل نفس، وكيف يتجرأ على الفقيه ويغضُّ من منصبه الرفيع العلي وشامخ عالي مقامه السامي، ولقد خبط في ذلك خبط عشواء، وجسُرَ بالكلام وتجراً » .

وكل هذا الاعتراض والإشكال إنما كان «من باب الخوف والشك من التلبیس» في بداية أمر ظهور الأحوال على سيدنا الإمام الفقيه المقدم، ثم لما ثبت للمعارض والموافق سلامة المنهج وصدق التوجه في سلوك ذلك الإمام، وبرزت البراهين دالة بما لا يقتضي الشك أن الفقيه المقدم قد بلغ رتبة اليقين الكامل في علمي الظاهر والباطن، وبلغ رتبة الاجتهاد وارتقى بجدارة إلى مرتبة الإحسان؛ سلم له أهل عصره وسار بهم مسيرة الانعطاف الفكري على طريق الفقر إلى الله تعالى، وترك دعوة المناصب والرياسات .

والمراتب من جهة أخرى، وخشي من انفلات الأمور في أهله وذويه  
وبني عمومته إلى تيارات تُفرضُ عليهم في مجرى الحياة الاجتماعية،  
فعقد أمراً في نفسه وبدأ يبيِّن فكرته ليرز الأمر إلى مجرى الحياة .

### تأسيس المدرسة الصوفية العلوية بحضرموت

كان القرن السادس الهجري يزخر بالعديد من التيارات الفكرية  
ما بين حقٍّ وباطل، وذلك نتيجة ما ولّدتَه القرون السالفة من عهد  
صدر الإسلام حتى ظهور المذهبية في العالم الإسلامي وظهور  
المدارس الصوفية، وقد برزَ في هذه المرحلة من المذاهب الفقهية  
مذهبُ الإمام الشافعي بحضرموت ونواحيها، بينما ساد المذهب  
الزيدي في صنعاء وما حولها، وساد أيضاً في حضرموت منهج  
الأشاعرة في الاعتقاد وضعفَ أثر الخوارج ودعوتهم الإباضية .

أما التصوف فقد انتقل عبر مراحل تَكَوَّنَ من عصر الصدر الأول  
من مرحلة الأفراد والشخص، ليصبح مع مطلع القرن السادس  
فكراً مزاحماً للمدارس المنتشرة في العالم الإسلامي، يحمل أطروحةً  
فكرية لها وزنها في معطيات الأفكار والرؤى والتوجهات .



وتتلخص المدارس الصوفية خلال مرحلة ظهور الفقيه المقدم إلى  
مدرستين عالميتين :

### الأولى : المدرسة الصوفية القادرية في المشرق

وتنتهي هذه المدرسة للشيخ الكبير عبد القادر الجيلاني<sup>(١)</sup> المتوفى  
سنة ٥٦١ الذي انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال

---

(١) وهو السيد الشريف القطب عبد القادر ابن أبي صالح موسى جُنْكِي دُوسْت ابن  
أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى  
الجَوْن ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وَسَلَّمَ .

وُلد سنة ٤٧٠ وقيل سنة ٤٧١ بجيلان، ودخل بغداد وهو ابن ثمانية عشر  
سنة، وبدأ الطريق إلى الله متجرداً سائحاً يجاهد نفسه في العبادات والطاعات بين  
صيامٍ وقيامٍ وترويضٍ للنفس على أصعب الأمور حتى ظهرت عليه آثارُ النورانيةِ  
وثمرَةُ المجاهداتِ القلبية والقلبية، وحصلت له جملةٌ من الكشوفات .

وكان له أخذٌ تامٌّ في علوم الإسلام فقهاً وعقائدَ وأصولاً وحديثاً وغيرها  
على جملةٍ من علماء عصره، منهم الشيخ أبو الوفا علي بن عقيل وأبو الخطاب  
محفوظ بن أحمد وأبو الحسين محمد ابن القاضي أبي يعلى وأبو سعيد المبارك بن  
علي المخزومي، واستمع الحديث النبوي من جماعة منهم أبو غالب محمد بن  
الحسن الباقلاني ومحمد بن عبد الكريم ومحمد بن علي ميمون وأحمد بن مظفر

القوم . كما انتهت إليه تربية المريدين بالعراق، وتتلّمذ له خلق كثير<sup>٨</sup> ولبس منه الخرقة خلائق لا يُحصون، وإليه يرجع جمهور شيوخ اليمن<sup>(١)</sup> .

---

وجعفر بن أحمد القاري وعلي بن أحمد الكرخي وإسماعيل بن أحمد الأصفهاني وعبد القادر بن محمد وعمر بن عبد الرحمن وهبة الله ومحمد الهاشمي وغيرهم .  
وقرأ الأدب على ابن يحيى زكريا بن علي التبريزي .

وصحب الشيخ العارف بالله حماد بن مسلم الدباس وأخذ عنه علم الطريقة وتأدب به، ثم هيا الله له الظهور وأجرى الحكمة على لسانه، وعمّر مدرسة أستاذه أبي سعيد المخزومي ووسعها وتصدر للتدريس بها والفتوى والوعظ، وقصده الطلبة من كل مكان وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق، وسُلمت إليه أزمّة المعارف، فأصبح مرجع العصر وقطب الزمان . وصنّف كتباً مفيدة وأملّى فوائد عديدة، ولُقّب «بإمام الفريقين» و «موضح الطريقين»، وإليه يرجع سند شيوخ اليمن . اهـ بتصرف واختصار عن «شرح العينية» ص ٥٥٠-٥٥٥ الطبعة العصرية، حلب .

(١) قال الإمام أبوبكر العدني ابن عبد الله العيدروس في كتابه « الجزء اللطيف في التحكيم الشريف » ص ١٦ : « فإنه كان الغالب على أهل اليمن ومناسبتهم المشهورة انتمائهم إلى الشيخ عبد القادر ما خلا القليل كالسادة الأشراف آل باعلوي وآل العمودي، وسيدي الوالي العارف ذو الأحوال والمعارف القطب الغوث الشيخ جوهر العدني نفع الله به، فإن نسبته مما اشتهر إلى الشيخ أبي مدين، وكذلك جد آل بامعبد »، والمناسب جمع منسب وهو طريق اتصال السند.

## الثانية : المدرسة الشعبية في المغرب

وهي المدرسة الصوفية المنسوبة للشيخ الكبير أبي مَدِين شعيب<sup>(١)</sup> التلمساني المغربي المتوفى بتلمسان من أرض المغرب سنة ٥٨٠، الذي انتهت إليه علوم القوم ورئاسة طريقهم، وأحد الذين أظهر الله بهم فنون الحكمة وأسرار المعارف في أرض المغرب، أخذ عنه كثيرون وتخرج به جماعة من الأكابر وانهقد الإجماع على فضله .

---

(١) هو الشيخ الإمام أبو مدين شعيب بن الحسن أو الحسين المغربي نسبة إلى جهة الغرب، وكنيته أبو مدين، وولده مَدِينُ مدفون بمصر، أما هو - أي: الشيخ شعيب - مدفون بتلمسان من أرض المغرب، كان أحد أوتاد المغرب وأقطابه وأركان هذا الشأن، تخرج به جماعة من الأكابر وتلمذ له خلائق من أهل الطريق، وإليه تنتسب الطريقة العلوية بحضرموت، أي أنها في أحد أسانيد الصوفية متصلة به، كما سيأتي في لاحق هذا الكتاب . انتهى عن «شرح العينية» ص ٥٦٨ بتصرف واختصار .

وأضاف كتاب «أنس السالكين» للسيد باهارون ص ٥١٩ فقال : وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة، فأفقت في بلاد المغرب على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وناظر وأملى، وأخذ عنه جملة من رجال المغرب .

### الفقيه المقدم وارتباطه بالطريقة الشعبية المغربية

لم تكن حضرموت في « هذه المرحلة » بمعزلٍ عن التحولات والأحداث الجارية في العالم الإسلامي، وما يدور فيها من صراع فكري واجتماعي، بل كان واقعُ الزمان وأحواله السياسيةُ مُسهِماً إلى حدٍّ كبيرٍ في ظهور المدارس الصوفية، وهي التي تمثل انعكاساً حتمياً لذلك الواقع ومعطياته، وكما أشرنا آنفاً أن ذهنَ الفقيه المقدم قد انقذ بأمرٍ ضرورةَ التحولِ المنهجي لما تقتضيه المصلحة اللازمة القائمة، ليس في الواقع الحضرمي فحسب وإنما في العالم الإسلامي كله.

ولم يكن هناك من مخرجٍ ملائمٍ بعد التقصي والدراسة الواعية عند الإمام الفقيه المقدم غير الأخذ بالطريق الصوفي منهجاً أخلاقياً وموقفاً سياسياً أمام المواقف الفكرية الأخرى، ولقد كانت حضرموت في تلك الآونة تزخر بنشاطٍ علميٍّ وعمليٍّ زاخِرٍ، وكان الفقهاء والمحدثون والأصوليون هم المتصدرون في منابر العلم والتعليم وعلى المنابر الإسلامية، ولم يكن الفقيه المقدم منعزلاً عنهم بل كان في مقدمة تلاميذ الفقيه العلامة الشيخ علي بن أحمد



بامروان جالسا بين يديه وعلى فخذيه سلاحه ؛ حيث كان قلب  
الفقيه مفعماً بآثار التعب والمجاهدة في ذات الله التي ألزم بها نفسه  
وأشرقت عليه أنوارها، فكان يزعجه من أقرانه وجلسائه ما يسمعه  
من خوض فيما لا يعني، ويقلقه طول الجدل الفقهي الفرضي  
المشوب بالانفعالات النفسية، ويستشعر الجفاف العلمي في  
النصوص إذا لم تنعكس سلوكياتها العليا على أهلها ؛ ولكن الأدب  
الذي تربى عليه والأخلاق التي تحلى بها تمنعه من الاعتراض على مثل  
هذه البشريات، ويكتفي من ذلك كله بشهود الخصوصيات.

ويبدو أن أخبار هذا الإمام ومكانته العلمية والعملية وتوجهاته  
الفكرية قد بلغت بواسطة المسافرين إلى خارج حضرموت وتحدث  
الناس بأحواله وشريف أقواله . فما كان من الشيخ الكبير صاحب  
بجاية الشيخ أبي مدين شعيب شيخ الطريقة الصوفية بالمغرب، وهو  
المطلع على مجريات الأحداث ونشاط المدارس الفكرية في عصره إلا  
أن دعا أحد كبار تلاميذه وهو الشيخ عبد الرحمن المقعد<sup>(١)</sup> وأمره

---

(١) ينتسب الشيخ عبد الرحمن إلى الطريقة الصوفية المغربية أحذاً، وأما بلده  
فحضرموت كما ذكره صاحب «المشرع» (٤:٢). بما مثاله : ثم إن الشيخ الإمام

أن يدخل من المغرب إلى مكة، ومن مكة إلى حضرموت وقال له: «إِنَّ لَنَا فِيهَا أَصْحَابًا، سِرُّ إِلَيْهِمْ وَخُذْ عَلَيْهِمْ عَقْدَ التَّحْكِيمِ وَلُبْسَ الْخِرْقَةِ»<sup>(١)</sup>، وقال فيما قال : « إِنَّكَ تَمُوتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ

---

العارف بالله تعالى شعيباً أبامدين ابن أبي الحسن التلمساني أرشد الشيخ الحليل عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الشهير بالمقعد، وكان من أكابر تلاميذ الشيخ أبي مدين .

(١) يعني بالخرقة « خِرْقَةُ التَّصَوُّفِ »، وهي لباسٌ يوضع على المريد، ويرمز إلى تَرَسُّمِ الحامل له بزيِّ الصوفية والدخول في دائرتهم، وغرضها حصولُ البركة وأخذ العهد بالسند المتصل للخرقة ظاهراً وباطناً، واختلف العلماء في « أصل الخِرْقَةِ »، فالسيوطي يُشير في استدلالاته على أصلها بما أخرجه البيهقي في « شُعَبِ الْإِيمَانِ » عن طريق عطاء الخراساني : أن رجلاً أتى عبد الله بن عمر فسأله عن طرف العمامة، فقال ابن عمر: إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعث سريرةً وأمرَ عليها عبد الرحمن بن عوف وعقد لواءً وعلى عبد الرحمن عمامة كرايس مصبوغة بسواد، فدعاه النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فحلَّ عمامته ثم عمَّه بيده، وأفضَّلَ موضعَ أربعِ أصابعٍ أو نحو ذلك، وقال : هكذا فاعتمُّ، فإنه أحسن وأجمل، قال الإمام السيوطي: فالاستدلال بهذا الإلباس على الخِرْقَةِ أنسب .

وذكر الإمام أبو بكر العدني ابن عبد الله العيدوس في « الجزء اللطيف » بسنده إلى الإمام السَّهْرَوَرْدِيِّ في كتابه « العوارف » مسنداً إلى أم خالد قالت : « أتى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهميانٍ فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: ما ترون ؟ أنكسوا هذه ؟ فسكت القوم، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ

تصل إليهم<sup>(١)</sup> فأرسل إليهم من يأخذ عليهم عقد التحكيم ولبس

وعلى آله وسلم: ائتوني بأمر خالد، قالت : فَأْتِي بِي، فألبسنيها بيده وقال : اِبْلِي وَأَخْلِقِي، يقولها مرتين، وجعل ينظر إلى عَلمين في الخميصة أصفر وأحمر ويقول : « يا أم خالد.. هذا سناء»، والسناء هو الحسن بلسان الحبشة . اهـ «الجزء اللطيف» ص ٦-٧، المجموعة العيدروسية، وفيها زيادة إيضاح .

وأضاف في «الجزء اللطيف» عن التعريف بالخرقة ص ٢٢ قوله : « وإنا خُصص إلباسُ الخرقَة بهذه التسمية - وهي عبارةٌ عن الطاقية والقميص والعمامة والطيلسان وغير ذلك مما يقع به اسمُ بُسٍ ويصح عليه حكمُ الإلباس - لأن هذه الأسماء تطلق باشتمال بركته، وأما إشارته فتقع على جميع الملابس » .

(١) يتضح من خلال ضمير الجمع أن الشيخ المقعد مرسلٌ إلى جملة من الناس، ومنهم الفقيه المقدم، وأما الآخرون فسيأتون في سياق الحديث، ومما يستفاد منا عن شخصية «عبدالرحمن المقعد» حامل رسالة الشيخ أبي مدين أنه حضرمي الأصل والمولد والمنشأ، فلا شك أنه من الأفراد الذين عرفوا الشيخ أبا شعيب عن حضرموت ورجالها، ومن ثم اختاره ليكون سفيراً إليهم، وهذا ما يستفاد من قراءة نصوص التراجم حيث لَمَح صاحبُ «المشرع» وغيره أن أخبار تصوف أهل حضرموت قبل مجيء الخرقَة الشعبية إليهم غيرُ خافية على علماء المشرق والمغرب آنذاك، بل كانوا على علمٍ بأحوال كلٍّ من الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي وما كانا يتطلعان إليه من «شمول النظرة الصوفية» في الواقع وعدم تمكنهما من ذلك ، مع أن صاحب «المشرع» أكد استعداد الفقيه المقدم وانتظاره لذلك المبعوث المغربي حيث قال : ولما علم الأستاذ بخروج عبد الرحمن المقعد من تلمسان خرج للقائه ثم علم بموته فرجع .

الخرقة » وأعطاه الخرقة وأمره أن يعطيها الأستاذ الأعظم، فلما وصل الشيخ عبد الرحمن الحضرمي المعروف بالمقعد إلى مكة المشرفة حضرته الوفاة، فأوصى الشيخ عبدالله الصالح المغربي، وهو من تلامذته، وأعطاه الخرقة، وقال له : « ستدخل مدينة تريم وتجد الشريف « محمد بن علي » يقرأ على الفقيه علي بن أحمد بامروان، فاعمد إليه وحكمه وألبسه هذه الخرقة، ثم اذهب إلى مدينة «قيدون» إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي فحكمه» .

#### مبعوث الشيخ شعيب في حضرموت

خرج الشيخ عبدالله المغربي من أرض الحرمين الشريفين حاملاً معه آمال مدرسة وتوجه أجيال قاطعاً طريقه من بلاد إلى بلاد مخترقاً أرض اليمن حتى وصل إلى حضرموت، ولما دخل إلى تريم وجد الفقيه المقدم بين يدي شيخه بامروان، فقال له : أيُّ جوهرة

---

وجاء أيضاً في المشرع (٢ : ٤) : وجاء إلى الفقيه رجل من أهل الشام وقال: ما جئت إلا لأجلك ؛ ولكني وجدت عبد الرحمن المقعد حائماً على قلبك، فلو اجتمع أهل المشرق وأهل المغرب أن يفكوه من قلبك ما قدرُوا، فإذا جاءك فتحكم له .

أنت لو تُقْبِتْ ؟! فقال الفقيه: وما الثَّقبُ ؟ قال: التحكيم، وأخبره بما أتى لأجله وأعلمه بجميع أمره، فرغب الأستاذ بالانحياز إلى جنبه والانتظام في سلك أصحابه وزهد عن الرياسة والمناصب، ورأى أن حال الفقر إلى الله لحاله مناسب .

ومن هذا الحوار والتعليل المثبت بنصه في كتب التراجم يستفاد زهد الفقيه المقدم في كافة مظاهر الحياة الفكرية والسياسية القائمة في الواقع، وشعوره منذ مجيء المبعوث المغربي بلحظة الفرج لإبراز ما كان يعتلج في صدره من تحويل أسرته وجماعته وأبنائه من حالة فكرية واجتماعية إلى حالة أخرى هي أمله ورغبته منذ أمد بعيد، لم ينقصها غير وجود السند الذي يناصره ويدفع معه بالرغبة من الصدر إلى حيز الواقع . لقد كان يوم التحول موقفاً عظيماً، وحدثاً جسيماً.

### قرار التحول ونتائجه

لبسَ الفقيهُ المقدم الخرقة، وهي شعار التصوف ورمزه، وأخذ عليه الشيخ المغربي نيابةً عن الشيخ شعيبٍ أبي مدين «العهد

والتحكيم»، وانخلع الفقيه عما كان عليه، ولبس لباس الصوفية وأعلن موقفه على الجميع<sup>(١)</sup>.

وكانت نتيجة إعلان هذا المبدأ على المجتمع رداً عنيفاً من أقرب الناس أثراً وتأثيراً عليه، فقد ذكرت كتب التراجم أن شيخه بامروان لما رآه قد تغير عما كان عليه قال له أمام الملاء: «أذهبت نورك وقد رجونا أن تكون كابن فورك»، واخترت طريق التصوف والفقر، وقد كنت عليّ المقدار والقدر».

إنها عبارات شديدة الوقع. وكلمات عاتبة أضرت من أثر النقع؛ لكن الفقيه المقدم لم يكن في تحوُّله مزاجياً ولا عاطفياً، بل لم يكن في هذا الإعلان منظوياً تحت شعارات الحماس المنبعث من وجود

---

(١) كان إعلان هذا الموقف بدايةً جديدةً لمدى قوة «آل البيت النبوي» على اتخاذ موقفهم في كل ما يروونه مناسباً لمصلحتهم الدينية والدنيوية، وعدم انصياعهم للواقع ولا الذوبان فيه ولو كان هذا الواقع يحمل أفضل الوسائل الفكرية في وجهة نظر غيرهم، وهذا ما يؤكد حقيقة قيادتهم للأمة.

والمتتبع لهذا الموقف الذي اختاره الفقيه يجد أنه في موقفه لم يلزم «عليه القوم» ولا شيوخ المرحلة باتباعه والانطواء تحت رايته وفكرته، بل اتخذ القرار لينفصل مع أهله وبني عمومته عن منهجهم الفكري بأدب ولطف.

النصير أو المساند، وإنما كان يتصرف بتؤدةٍ ووعيٍ وصدقٍ توجهٍ  
وتثبتٍ، ولهذا رد على شيخه بامروان بقوله:

«الفقرُ فخري وبه أفخر، وبه على النفس والشيطان أنتصر، ولا  
أتباعد عنكم إعراضاً، ولا تبدلتُ بكم مُعتاضاً»، إنه أول نفسٍ  
صوفيٍّ يعلن به الفقيه موقفه، ويعطي لشيخه ما يجب عليه من  
الانطواء والتأدب، ويُبرز أيضاً تعليلَ أخذه لمبدأ التصوف المعلن ؛  
لكنَّ الفقيه بامروان لم يعجبه موقف الفقيه المقدم وتحولهِ المعلن  
فأعرض عنه وهجره إلى أن مات<sup>(١)</sup>.

---

(١) جاء في «المرجع» و«الغرر» وغيرها من كتب التراجم حول «مصالحة الفقيه  
لبامروان وتسامحه منه» قصةٌ تُشير إلى «التقائهما في منارة الجامع عشيّة وفاة  
بامروان وكان مؤذنُ المسجد حاضراً، فسمع الكلام بين الفقيه المقدم وبين الشيخ  
بامروان الذي تمثلت روحه للفقيه بعد موته»، ونحن نؤمن بالكرامة ونصدقها إلا  
أننا هنا لم نُثبتها برُمَّتِها . لأنه من الجانب الشرعي الظاهر لا يُبنى عليها حكمٌ  
معينٌ ؛ ولأن موافقة الفقيه بامروان كانت لازمةً وضروريةً في حياته، أما وقد  
مضى الفقيه المقدم في طريقه ولم يأخذ بالاً بإعراض شيخه حتى مات فلا يترتب  
على الاعتذار والموافقة شيءٌ جديدٌ في سير الطريق ذاتها، وإنما يترتب عليه جانبٌ  
أدبيٌّ أخلاقيٌّ بين مريدٍ وشيخه .



ومنذ تلك اللحظة بدأ الفقيه المقدم يضع الأساسات العملية  
لمنهجه ورؤيته التي كان من قبل يفكر فيها، بينما توجه المبعوث  
المغربي إلى وادي دوعن ليكمل رسالته التي وكل بها .

وقد اختلفت الروايات في أسماء الأشخاص اللذين أخذ المغربي  
عليهم العهد والتحكيم بوادي دوعن . فالذي ذكرته غالب  
التراجم ومنها « المشرع » و« الغر » أنَّ المغربيَّ اتجه إلى قيِّدون وعمل  
مع الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ما عمله مع الفقيه المقدم من  
أخذ العهد والتحكيم ولبس الخرقة، وأجمعت كافة التراجم على  
ذلك ، ثم اختلفت في تحديد بقية الأفراد الذين أخذ عليهم العهد  
فقيل : إنه التقى بالشيخ باحمران صاحب ميفعة والشيخ باعمر  
صاحب عورة فأدخلهما في سلك التصوف <sup>(١)</sup> .

---

(١) ذكر صاحب « عرائس الوجود و مرآة الشهود » - مطبوع - فوائده مهمة، فقال  
بعد أن ذكر أخذ الشيخ المغربي العهد والتحكيم على الفقيه المقدم : ثم اتجه إلى  
وادي دوعن وسأل عن الشيخ سعيد العمودي، فدلَّ عليه بناحية قيِّدون يرعى  
الغنم، فذهب إليه وأخذ العهد عليه، وألبسه خرقة التصوف، ثم بقي الشيخ المغربي  
يتنقل في الوادي لنشر الطريقة وعلومها، واختار السكنى بقرية «أصبعون» بوادي  
دُوعن، وتزوج وأنجب بنات أنشأهنَّ نشأةً سالحة، ولما حضرته الوفاة أرسل إلى  
كبار مشايخ الطريق اللذين أخذ عليهم العهد والتحكيم فجاءوا إليه وسألوه أن

وجاء في رسالة « الجزء اللطيف في التحكيم الشريف » للإمام أبي بكر العدني ابن عبد الله العيدروس ص ٢٢٢ من المجموعة العيدروسية ذكر الشيخ بامعبد دون غيره فقال :

الشيخ العفيف عبد الله الصالح المغربي وهو الذي أرسله «أبومدين» من أقصى المغرب لتحكيم ثلاثة أولياء أكابر بأرض حضرموت، وقال لهم أنتم ثلاثة جواهر لم تُنقب منهم الفقيه المقدم،

---

يستخلف من بعده شيخاً يرجعون إليه، فسكت طويلاً ثم قال : شيخكم بعدي صاحب السبحة، وقد جعلت ميراثي بينكم أرباعاً، وكان ميراثه سبحة وعكازاً وقدرًا ومشعلًا وحبوة وبسطة ودلقانا، وأوصى أن يكون الشيخ سعيد وليّ أمر بناته من بعده، فكان الأمر كذلك، ولما توفي الشيخ المغربي قُسمت التركة بين الحاضرين من مشايخ الطريق فجاءت القسمة على النحو التالي :

- ١- العكاز والمسيحة للفقيه المقدم .
- ٢- القدر والمشعل للشيخ سعيد بن عيسى العمودي .
- ٣- الحبوة والبسطة للشيخ باحمران صاحب ميفعة .
- ٤- الدلق للشيخ باعمر .

وبهذه القسمة صار مرجع الجميع وشيخهم الإمام الفقيه المقدم، وصار هو أيضا واجهة التصوف ومؤسسه في الوادي، وأعانه الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وصار منطويا فيه . انتهى . نقل بتصريف من « ترجمة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي » لكاتب الترجمة، مطبوع ضمن هذه السلسلة.

وهو جد آل أبي علوي المتوفي سنة ٦٥٣، ومنهم الولي كمال الدين الشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفي سنة ٦٧١، ومنهم الشيخ محمد بامعبد، وهو جد آل بامعبد<sup>(١)</sup>.

وبهؤلاء الشيوخ الذين ارتبطوا بالطريقة الشعبية المغربية بدأت مدرسة التصوف تشق طريقها في وادي حضرموت، إلا أن طبيعة التربية التي نشأ عليها هؤلاء الشيوخ وخاصة الفقيه المقدم والشيخ سعيد جعلت من تصوفهم تصوفاً خاصاً غير متأثر بالمنهج

---

(١) الشيخ محمد بامعبد تَرَجَمَ له صاحبه «طبقات الخواص» ص ٣١٢ ولم يشير إلى أخذه عن الشيخ الصالح المغربي، وكذلك ذكره كتاب «أنس السالكين في مناقب الصالحين» للسيد باهاورن ص ٤٥٠. بما مثاله : الشيخ الكبير صاحب السر الغزير محمد بامعبد، له كرامات ظاهرة، وأحوال باهرة، أذن له الشيخ سعيد العمودي أن يحكم لنفسه دون باقي المشايخ إلخ، وهذه العبارة تدل على أن الشيخ بامعبد من الآخذين على الشيخ سعيد بن عيسى العمودي . انتهى .

وفي ص ٤٥٥ ذكر أنه سكن موضعاً يقال له رضوم وتوفي سنة ٧٢٠، وأما الشيخ باعمر «صاحب عورة» فقد ذكره «أنس السالكين» ص ٤٦٤ مخطوط بما مثاله : الشيخ باعمر صاحب عورة، له كرامات كثيرة وبركات غزيرة، وهو وأبوه أول من حكمه الشيخ عبد الله الصالح وقت أن جاء إلى حضرموت .

الشعبي ولا غيره في كثير من المسائل والأمور ، وهذا ما يؤكد تفرد مدرسة حضرموت عن غيرها من المدارس .

وقد يتساءل المرء إذا كان الحال كذلك فما فائدة ارتباط الفقيه المقدم والعمودي وغيرهم بالشيخ شعيب أبي مدين بواسطة المغربي؟

والجواب الملائم هو أن الفقيه المقدم لم يكن بحاجة إلى منهج يوجهه ويهديه عندما اختار التصوف وسلكه منذ بدايته، وإنما كان محتاجاً إلى سند اجتماعي وجهة عالمية تؤيد إعلانه لمنهجه وفكرته بين أئداده وأقرانه من أهل عصره، وقد وجدها في ظل تزامم المدارس والنحل، فأعلن صوفيته ؛ ولكن بنفس علوي وسلوك سلفي نبوي .

كتب السيد العلامة المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري في «الأدوار» (٢: ٢٥٤): وهكذا انتشر التصوف بحضرموت فيما بعد ولكن بصورة مهذبة منتقاة وبعيدة عن الغلو ومجانبة الشرع.

وكتب السيد العلامة المؤرخ صالح بن علي الحامد في «تاريخ حضرموت»:

لم يكن التصوف بحضرموت مبالغاً فيه ولا على أسلوب رهبانيٍّ جامد بالغ الجمود كشأنه في بعض الجهات الأخرى، وإنما كان تصوفاً وسطاً . فمع كونه يدعو إلى الزهادة في مقام الحياة الدنيا وشهواتها، فهو لا ينهى عن اتخاذ الأسباب والعمل بلزومات الحياة والتمسك بالفقه .

وهذا هو التفرد الذي توارثه العلويون وأقرّ به الأحفاد اللاحقون.

وكتب السيد صالح الحامد في «تاريخ حضرموت» : إن أجدادنا الصوفية لم يكونوا كما قد يظن بهم من التخلي عن الأسباب وترك السعي على العيال، بل كانوا بخلاف ذلك، إذ لم يمنعهم التصوف من عمارة واديهم بالزراعة وغرس النخيل حتى صار في تلك العهود جنناً غنّاء، فقد روى الثقات من المؤرّخين أن الأستاذ الفقيه المقدم كان هو المثل الأعلى في ذلك، كان «يرزُم» أي : يملأ من التمر ثلاثمئة وستين زيراً كل عام من التمر الفاضل عما يُستهلك أيام الرطب، وينفق هذه التمور بعد ذلك على الفقراء وذوي العسرة .

وكتب أيضاً السيد محمد أحمد الشاطري عنهم ما مثاله:

فالعلويون صوفيةٌ إلا أن تصوفهم لم يشغلهم عن إدارة شؤونهم الاجتماعية فضلاً عن العائلية، كمن نسب إليه التصوف من الصحابة والتابعين . والعلويون صوفيةٌ زهادٌ ولكن زهدهم لم يمنعهم عن جمع الأموال الطائلة من طرقها المشروعة لإنفاقها في طعام الضيف وإكرامهم وفي بناء المساجد والأوقاف عليها وفي بناء السقايات والمبارد، وفي إقامة المطابخ والزوايا وفي نشر العلم والدعوة إلى الله وإصلاح ذات البين والتصدق على المحاييج<sup>(١)</sup>.

لقد أرسى الفقيه المقدم للأجيال اللاحقة « منهج علم وعملٍ تفرد به الجميع عن مدارس الواقع والخارج جملةً وتفصيلاً، يؤيد هذا القول ما كتبه الإمام الحداد عن طريق السلف في مكاتباته فقال: وأما طريقنا فلا يحتاج من حيث الإجمال إلى شرح، وإنما هي في الكتاب والسنة والافتداء بالسلف الصالح لا غير . وبهذه الجملة تفصيلٌ يطول، ولو وجدنا من صدق في طلبته ورغبته وجدّه وتشميره كما ينبغي من أهل هذا الزمان كنا شرحنا لهم على التفصيل وبيننا ما يخصُّ منها وما يعمُّ، وما هو الأولى ببعض وما هو الأولى بغيره » .

---

(١) محاضرة « سيرة السلف » للحبيب محمد بن أحمد الشاطري ص ٢١ .

ونرى فيما كتبه أهل التراجم عن سيرة الفقيه المقدم خلال هذه المرحلة خيرَ شاهدٍ ومقالٍ على التوجه السليم والمقصد الحكيم الذي اختاره هذا الإمام، فقد جاء في ترجمته ما مثاله : كان مجتهداً كل الاجتهاد في طاعاته وعباداته، يشغل نهاره بالتدريس مع صيامه، ويقوم في الأسحار مواظباً على قيامه سرّاً وجهراً، إذا ما ختم ختمةً شرع في أخرى، وكان يتعبد الزمان الكثير في شعب النُّعير<sup>(١)</sup> .

واتفق أن ولده أحمد تبعه في إحدى الليالي، فلما وصل الوادي ذكر الفقيه الله بلسانه وجهر فردّد صدّى الذِّكرِ لله تعالى كلُّ ما في الوادي من شجرٍ وحجرٍ فخرّ الولد مغشياً عليه حتى رجع أبوه إليه «<sup>(٢)</sup> .

---

(١) هو شعبٌ خارج مدينة تريم .

(٢) المشرع الرّويّ (٢ : ٣) .



## زي الفقراء وكسر السيف

بدأ الفقيه المقدم منذ إعلان صوفيته يوجه همة أبنائه وأتباعه إلى الاهتمام بالعلم والعمل وتصفية النفس وكبح رغواتها، وشحذ الوجدان بالذوق السليم المنبعث من كثرة التلاوة والقيام والصيام وإطعام الطعام للفقراء والأرامل والأيتام، وكسر سورة الشهوات بالمجاهدات والابتعاد عن أهل الجاهات والرياسات مع النصح لهم بالتي هي أحسن، ومخالطة البسطاء من العوام وتلبية حاجاتهم ونصحهم وإرشادهم ودعوتهم لذكر الله تعالى في السر والعلانية، وبث روح التحابب والمودة فيما بينهم من صلة الأرحام والقيام بحقوق الجيران وزيارة المريض وتشجيع الجنائز والزيارات في ذات الله، وعقد حلقات الذكر والاجتماع لها، والتصدر لنشر العلم والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة في المدن والقرى والوديان والجبال، وخاصة عند حملة السلاح.

ولم تكد الناس تألف هذه المعاملات الأخلاقية وتتأثر بها وتلتف حول داعيتها في مجالس السكينة والاطمئنان، حتى أعلن الفقيه المقدم أمام الناس قراراً جديداً وموقفاً سديداً، كان اتخاذ هذا القرار الحاسم إحدى ثمرات نجاح الدعوة الصوفية المعلنة في واقع الجاهات

والرياسات، وخاصة بعد أن قدم الشيخ سعيد بن عيسى العمودي إلى تريم وشد من أزر الدعوة ووطّد لها وادي دوعن ونواحيه الأخرى، ووضع يده في يد الفقيه المقدم وانطوى فيه وتأدب له أمام الخاص والعام، واتفقا معا على قرار الحسم الجديد . وكان هذا القرار مكملاً للموقف الأول ومتمماً له.

كتب السيد المؤرخ علي بن حسين العطاس في كتابه « تاج الأعراس »<sup>(١)</sup> (٢ : ١٩٩) :

فائدة: اعلم أن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي إنما تزيّا بزّيّ الفقراء وترك حمل السلاح الظاهر لأمر:

منها: أنه دعا لأولاده بأن يكونوا من أهل المقامات والأحوال بالسلاح الباطن الذي هو البرهان المبين الحاضر المعبر عن نفسه « بسيف القدرة » فأصبحوا هم الملوك وهم أهل الشوكة والحماية، وقد أشار الشاعر بقوله :

مُلُوكٌ عَلَى التَّحْقِيقِ لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ      مِنْ الْمُلْكِ إِلَّا إِسْمُهُ وَعِقَابُهُ

---

(١) كتاب مطبوع طبعه حجرية مكون من جزئين موضوعه ترجمة شاملة للحبيب صالح بن عبدالله العطاس ( ت ١٢٧٩ ) وتراجم شيوخه وعلماء وقته وبعض أحداث عصره .

الأمر الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أطلعه على أنهم سوف يكثرون بالجهة الحضرية، ودولتها وقبائلها وأهل الشوكة فيها على غير قانون الشريعة، فإنهم يقتلون البريء بالمجرم ويأخذون مال البريء بذنب غيره، حتى إني رأيتُ أمرَ السلطنة والقبولة من المشقاص إلى الطرية ومن الساحل إلى مأرب جميعه مبنياً على نار جهنم<sup>(١)</sup> لأنه مخالف قانون الشريعة وموافق لأمر الجاهلية الجاهلاء،

---

(١) هذه العبارات التي نقلها الحبيب علي بن حسين العطاس يبدو أنها منقولة من كلام الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه «الرياض المونقة» مخطوط ص ٣٢، وفيها زيادات مفيدة نقلها هنا إتماماً للفائدة، قال رضي الله عنه : نظرتُ في قبولة قبائل أهل الجهة الحضرية المعروفين بين حدودها المرسية من الساحل إلى مأرب من المشقاص إلى الطرية فإذا هي مؤسسة على النار، وذلك بأنهم إذا قتل إنساناً إنساناً بادر أهل المقتول بطلب ثأرهم، فمن وجدوه من أهل القبائل قتلوه، وهذه الطريقة أعظم من طريقة الجاهلية لأن الجاهلية يقتلون النفس بالنفس، ولهذا الخطر العظيم والمورد الوضيع ترك سلفنا وساداتنا آل باعلوي حمل السلاح فيها، فجزاهم الله خيراً لا سيما سيدنا الفقيه المقدم الذي هو في كل خيرٍ مقدّم.

قلتُ : وهذا الحال الذي أشار إليه المؤلف من خطر حمل «آل البيت» السلاح بنواحي تلك البلاد قد حصل عياناً، ففي كثيرٍ من مناطق جنوب اليمن قُتل أبناء المهاجر في معارك مع البادية بسبب حمل السلاح، وفي حروب أخرى جرت حروب طاحنة بين «آل البيت» أنفسهم لما جاوروا البداوة وتقلدوا مثلهم

فلو حمل السلاح أولادُ سيدنا الفقيه المقدم في حضرموت لكان منهم لأنفسهم الهلاكُ، ولصاروا أعظمَ ذنباً من غيرهم كما وقع فيه من خلفَ سيدنا الفقيه من أولاده وذويه.

الأمر الثالث: أن آخر هذا الزمان المشار إليه بتراكم الفتن والمأمور فيه بكسر السيف نصاً من جد الحسن كما صح في «صحيح مسلم» قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ فيها من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجدَ منها ملجأً فليعدْ به» وفي رواية: «تكونُ فتنةُ النَّائمِ فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خيرٌ من القائم»، إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يعمد إلى سيفه فيدقُّ على حدهِ بحجرٍ»، قال الإمام محيي الدين النووي في «شرح صحيح مسلم»: «

أما قوله: «من وجدَ ملجأً»، أي عاصماً أو موضعاً يلتجئ إليه ويعتزل فيه «فليعدْ به» أي: فليعتزل فيه، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يعدُّ على حدهِ بحجرٍ»،

---

الأسلحة مع الجهل وترك العلم، وعاشت أجيالٌ منهم في بلاد العوالق وغيرها على العداوة والأخذ بالثأر والتربص ببعضهم البعض.

وآله وسلم : « القاعدُ فيها خيرٌ من القائم » إلى آخره، فمعناه بيانُ عظيمِ خطرِها والحثُّ على تجنبِها والهرب منها ومن التسبب في شيء منها، وإن شرَّها وفتنتها تكون على حسب التعلق بها، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَعمَدُ إلى سيفه فيدقُّه على حده بـمـحـر » فالمرادُ كسرُ السيف حقيقةً على ظاهر الحديث لِيَسُدَّ على نفسه بابَ هذا القتال، وقيل هو مجازٌ والمراد ترك القتال، والأول أصح .

### الشيخ سعيد بن عيسى العمودي

ننقل في تعريفنا لهذا الفصل ما قد تيسر لنا جمعه بفضل الله في كتابنا «ترجمة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي»:

اشتهر بين الناس إطلاق تسمية خزانة آل باعلوي على المشايخ آل عمودي منذ أن تم الاتحاد الروحي بين العَلَمينِ الشهيرين حاملَي لواءِ الطريقة الصوفية بحضرموت كلها.. الإمام والأستاذ الأعظم الفقيه المقدم والشيخ المبجل المكرم سعيد بن عيسى العمودي، وبهذه الألفة الروحية والتحابب الذوقي في ذات الله تعالى صار الشيخ

سعيد بن عيسى رافداً وسنداً لقرارات ومواقف سيدنا الفقيه المقدم، بل كان الشيخُ سعيدُ الرافدَ الأساسيَّ والمعادلَ المكملَ لتنفيذ سيدنا الفقيه المقدم قراره الحاسم « بكسر السيف » كرمزٍ للتحويل من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في ذلك العهد، إلى طريق الخمول وترك الرياضات، والاعتناء بديلاً عن السيف بالعلم والعمل أساساً للفكرة الجديدة التي اصطبغ بها توجهه الروحي.

ويعود أساس التنمية كما ذكرها كتاب « الشامل في تاريخ حضرموت »<sup>(١)</sup> إلى ما صار إليه - أي : إلى الشيخ العمودي - من تراث الفقيه وسره وما حازه ببركة صحبته حتى قال الحبيب جعفر بن أحمد الحبشي في قصيدة مدح فيها الشيخ سعيد:

فِيهِ مَكْنُونُ سِرِّنا آلِ علوي أَخْبَرْتنا بِذا الثُّقاتُ شَفاهَا

---

(١) « الشامل في تاريخ حضرموت » كتابٌ تاريخيٌّ عامٌ للسيد علوي بن طاهر الحداد طُبِعَ مرةً واحدةً ولم تَكْمُلْ طباعته، وضاعتْ كثيرٌ من أوراقه خلال الطبع خصوصاً في وسط الكتاب وآخره وذلك بسبب الحرب التي أشعلها الهولنديون في جاوه، وكان الكتاب آنذاك تحت الطبع واستطاع البعض أن يحتفظ منه ما بقي إلى الآن.

ولا يعني هذا أن الفقيه المقدم قد نزع بالعلويين إلى الجهل والضَّعة عندما أخذ بهذا الطريق كما يَظُنُّ بعض الأحفاد، وإنما كان للفقيه هدفان أساسيان : أحدهما سياسي، والآخر ديني واجتماعي.

فالهدف السياسي لخصه لنا السيد المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري في «أدوار التاريخ» فقال : كان الحُكَّام السياسيون بحضرموت في عصره وفيما قبله ينظرون إلى العلويين نظرةً ينافسون فيها عليهم المكانة التي يحتلوها في القلوب ويخشون من شعبيتهم على مُلكهم فيُحيطونهم بسياجٍ من الرقابة ويضيقون عليهم الخناق، وهو نفس ما جرى ويجري مع آبائهم وإخوانهم العلويين من بني أمية وبني العباس والحكام الآخرين، وقد عرف الفقيه المقدم بنفسه كل ذلك في أسرته، فقد اضطرَّ جدُّه صاحبُ مِرْبَاطٍ إلى الهجرة نتيجة تلك المضايقة، كما شاهد بنفسه ما لاقاه عمه علوي شقيق أبيه من آلام السُّمِّ الذي دَسَّه له حاكمُ تريمٍ القحطاني.

ولهذا فإن تَقَلُّدَ السلاح معناه إذ ذاك في نظر الآخرين المسلحين الاستعداد لهم والمقابلة، ولا بد من الاصطدام يوماً بين القرنِ وقرنه ثم بين الأبناء كما بين الآباء عداوةً متوارثةً وأخذٌ بالثأر مستمرٌ كما هو واقع بين القبائل. فرأى الفقيهُ المقدمُ البعيدُ النظرُ القضاءَ على

الشر من جذوره، واختيارَ طريقةِ التصوف المعتدل، وحَمَلَ بيده  
العُكَّازَ الذي يرمز إلى التصوف بدلاً عن السيف الذي يرمز وقتئذ  
إلى النهب والسلب والإجرام وطلب الحكم والثأر والانتقام<sup>(١)</sup>.

وأما الهدف الديني والاجتماعي فهي كما بينه المؤرخ الشاطري  
أيضاً في «الأدوار» بقوله:

مما أجمعت عليه المصادرُ أن الفقيه المقدم نزعَ السلاح بل  
وكسر سيفه، ودعا قولاً وعملاً إلى نزعه ليقضيَ على القبليَّة،  
وبرهنَ فعلاً على وجوب التعايشِ السلميِّ والأخوةِ الإسلاميةِ  
والمذهبيةِ والوطنيةِ بين قبائل الشعب وقطاعاته، وعلى أن سلاح  
العلم والإيمان والأخلاق هو أقوى الأسلحة في المجتمع وأمضاها في  
قيادة الأمة وتوجيهها إلى حياة السعادة والخير والتقدم<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا المضمار الحيوي كان موقف الفقيه المقدم موقفاً هاماً  
ومصيرياً شجاعاً، وكان أيضاً موقفُ الشيخ سعيد بن عيسى

---

(١) «أدوار التاريخ» (٢: ٣٠٤-٣٠٥).

(٢) المصدر السابق (٢: ٣٠٤).



العمودي في مساندة القرار لا يَقلُّ شجاعةً وأهميةً عن صاحب القرار ذاته.

وتشير كتب التاريخ أن أجزاء السيف المكسور لا تزال محفوظةً منذ ذلك الحين لدى المشايخ «آل العمودي» مع بعض آثار الفقيه الأخرى التي آلت إلى الشيخ بوصية من الفقيه المقدم عند وفاته كما هي عادة الصوفية في مرض الموت يوصون لأبنائهم ومريديهم بشيء من اللباس وغيره إشارة للوراثة عنهم والخلافة، ولا زالت هذه البقايا والآثار محفوظة في «قيدون» إلى اليوم تحت رعاية القائمين على مقام وزاوية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي<sup>(١)</sup> من أحفاده.

---

(١) سُمي الشيخ سعيد بالعمودي بعد أن حمل راية التصوف في الوادي، والذي يظهر أن آل باعلوي في ذلك العصر أطلقوا عليه التسمية تشريفاً له خلال إحدى زياراتهم لشعب نبي الله هود، وإلى ذلك تشير قصيدة الإمام عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران في قوله :

والشيخ سعيد قد أسقي عند النبي هود وتسمى بالعمود

أما صاحب كتاب «عرائس الوجود ومرآة الشهود في ترجمة الشيخ سعيد» فقد أشار إلى أنه لُقّب بالعمودي لما كان رحمه الله مكثراً للصلاة ومحافظاً عليها؛ إذ هي عماد الدين وأفضل قُرب العبد في حضرة المناجاة، بل ورد في الحديث: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة»، فسمي الشيخ سعيداً لذلك عمود الدين

## أسانيد الاتصال.. وسلسلة الوصال..

من أهم ما يعتني به رجال العلم عموماً مسألة الأسانيد، وهي أساسُ بلوغِ حقيقة العلمِ وصورتِه من جيلٍ إلى جيلٍ، وكل علمٍ لا يستند على تسلسلٍ في الأخذ والرواية يُعدُّ علماً مبتوراً، ولهذا كان سلفنا الصالح على غاية الاهتمام بأنسابهم وأسانيدهم .

والأسانيد عند السلف وسيلةٌ لمعرفة الأصل والمنشأ الذي يتصل به العالم أو المحدث أو الأصولي أو الصوفي، وهي أيضاً مَلَحَظٌ أمانٌ وتَثَبُّتٌ من خطر التخبط والإفك الذي يُدخله الكاذبون في عقول الناس باسم العلم ورجاله، ومن لا سَنَدَ له لا علم له ولو كان من أكثر الناس اطلاعاً ومعرفةً .

ومن هذا المنحى اعتنى السلف بأسانيدهم الخاصة وأسانيدهم العامة في كل الفنون<sup>(١)</sup> .

---

من حيث اصطلاح أهل الجهة بنقل «العماد» إلى «العمودي» .

(١) اعتنى بعضُ السلف بحضرموت بجمع الأسانيد وطرق الرواية في كل ما يتعلق بالقرآن والحديث والسيرة والتصوف وغيرها عبر طبقاتهم، ومن أهم المؤلفات المتوفرة في هذا العلم «البرقة المشيقة في أسانيد الطريقة» للسيد الشيخ علي بن أبي بكر السكران ( ت ٨٩٥ ) مطبوع، و« الجزء اللطيف في التحكيم الشريف » للسيد أبي بكر العدني العيدروس ( ت ٩١٤ ) الذي نقلنا عنه في هذا الكتاب مطبوع، و« السلسلة

العيدروسية» والمسماة أيضا «الطراز المعلم» للحبيب شيخ بن عبدالله العيدروس (ت ٩٩٠) مخطوط في ثلاثة مجلدات ضخام، وكذلك «النفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية» للسيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥) جمع فيها أسانيد شيخه السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس (ت ١١٩٢) بعد أن أشار عليه بذلك مخطوط، ومثله «فيض الأسرار» للشيخ عبدالله بن أحمد باسودان (ت ١٢١٣) مخطوط، وثبت الحبيب شيخ بن محمد الجفري (ت ١٢٢٢) «نتيجة أشكال قضايا مسلك جوهر الجواهرية» مخطوط، والثبت الحفيل «كنز البراهين» له أيضاً مطبوع، وثبت المسند الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (ت ١٣١٤) المعروف «بعقد اليواقيت الجوهريّة»، مطبوع، ومثله له «عقود الآل في أسانيد الرجال» مطبوع، وكذا «منحة الفتاح الفاطر في أسانيد السادة الأكابر» مطبوع، وكذلك الثبت البديع ذي الدوائر والمشجرات «العقود اللؤلؤية» للسيد الحبيب أبي بكر بن شهاب (ت ١٣٤١) مطبوع، وثبت المسند الحبيب محمد بن سالم السري (ت ١٣٤٦) مخطوط، وأيضاً «العقد الفريد في ضبط وتقييد ما وصل إليه الإمام شيخ الإسلام الحبيب أحمد بن محسن الهدار (ت ١٣٥٧) صاحب المكلا من الأسانيد» للحبيب عبدالله بن أحمد الهدار مطبوع، وثبت الحبيب محمد بن حسن عديد (ت ١٣٦١) - ذكر فيه شيوخه الذين قاربوا الأربعمئة - «تحفة المستفيد في من أخذ عنهم محمد بن حسن عديد» مخطوط، وكذلك «منحة الإله في الاتصال ببعض أوليائه» للمسند الحبيب سالم بن حفيز (ت ١٣٧٨) في طريقه للطباعة، وغيرها مما لا زال رهن الخزائن الخاصة يسر الله من يقوم بإخراجها .

وبالنسبة لأسانيد « خرقه التصوف » فقد وصلت إلى سيدنا الإمام الفقيه المقدم من طريقين ذكرها صاحب «العقد النبوي»<sup>(١)</sup> بما مثاله:

واعلم أن النسبة المذكورة المباركة للشيخ المشهور، الفقيه المذكور، في لبس الخرقه الشريفة، لها طرقٌ كثيرةٌ من جهة الكسب والظاهر، وطرقٌ كثيرةٌ من الإشارة والكشف الباهر، فمن طرقه من جهة الكسب المعتاد أنه لبس الخرقه من طريقين :

الطريق الأول: هو الطريق الذي لم يُشهر، وهو أن الفقيه تأدب بأدب أبيه الشيخ علي، وهو تأدب بأبيه الشيخ الإمام المحقق والحبر المدقق الشيخ محمد المقبور «مرباط ظفار» القديمة ابن الشيخ علي، والفقيه محمد هو من مشايخ الشيخ سعيد بن علي والشيخ علي بن عبد الله الظفاريان في علم الشريعة، والشيخ الإمام صاحبُ مرباط المذكور<sup>(٢)</sup> تأدبَ بوالده الشيخ الشريف السني علوي ابن الشيخ علوي الشهير بخالع قسَم، والشيخ علوي بن محمد تأدبَ بأبيه الشيخ الشريف محمد بن علوي، والشيخ محمد بن علوي ابن الشيخ

---

(١) «العقد النبوي» ص ٢٧٩ .

(٢) وقد ترجمنا للإمام صاحب مرباط ضمن هذه السلسلة.

عبدالله تأدب بأدب أبيه الشيخ الحبيب النسيب السني علوي ابن  
الشيخ عبيدالله ابن الشيخ أحمد، والشيخ علوي بن عبيدالله تأدب  
بأبيه الشيخ الولي عبيدالله ابن الشيخ أحمد بن عيسى، والشيخ عبيد  
الله<sup>(١)</sup> تأدب بوالده الشيخ الكبير أحمد بن عيسى، وأحمد بن عيسى  
هذا، هو الذي خرج إلى حضرموت من البصرة، والشيخ أحمد<sup>(٢)</sup>  
تأدب بأبيه الشيخ عيسى بن محمد ابن الإمام علي العريضي ابن  
جعفر الصادق، والشيخ عيسى تأدب بوالده الشيخ محمد بن علي،  
والشيخ محمد بن علي تأدب بأبيه الشيخ نور الدين علي العريضي،  
والإمام العريضي تأدب بأدب والده الإمام محمد الباقر، ومحمد الباقر  
تأدب بوالده الإمام علي زين العابدين، والإمام علي زين العابدين  
تأدب بوالده سبط الرسول نجل البتول الشهير الإمام الحسين،  
والإمام الحسين تأدب بوالده أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه،  
والإمام علي تأدب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى  
الله عليه وآله وسلم يقول : «أدبني ربي فأحسن تأديي».

---

(١) وقد ترجمنا له مع أبنائه الثلاثة: بصري وعلوي وجديد ضمن هذه السلسلة.

(٢) وقد ترجمنا له ضمن هذه السلسلة.

الطريق الثاني: وهو الطريق المشهور، فإن الشيخ الفقيه المقدم لبس الخرقة الشريفة من رسول الشيخ شعيب أبي مدين بإذنه، والشيخ أبو مدين أخذ الخرقة من الشيخ أبي يعزى، وأخذ الشيخ أبو يعزى عن الإمام أبي الحسين علي بن حرزهم، وأخذ أبو الحسن المذكور عن الإمام القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن عربي المغافري، وأخذ القاضي المغافري عن الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، وأخذ الإمام الغزالي عن شيخه إمام الحرمين عن والده أبي محمد الجويني، وأخذ الجويني عن الشيخ أبي طالب المكي<sup>(١)</sup>، وأخذ الشيخ أبو طالب المكي عن الشيخ الشبلي، وأخذ الشبلي عن الأستاذ أبي القاسم الجنيد، ولبس أبو القاسم الجنيد من يد خاله الشيخ سري السقطي، ولبس الشيخ سري السقطي من يد معروف الكرخي، ولبس معروف الكرخي من يد داود الطائي، والشيخ داود لبس من الشيخ حبيب العجمي، ولبس حبيب العجمي من يد الحسن البصري، ولبس الحسن البصري من يد علي بن أبي طالب،

---

(١) وهنا تفرع سند اتصال آخر، حيث أخذ الإمام الشريف علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر عن الشيخ أبي طالب المكي وقرأ عليه في علوم التصوف «قوت القلوب» بمكة المكرمة.

وعلي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عن جبريل عليه السلام وجبريل أخذ عن الله عز وجل.

والشيخ معروف طريق أخرى من جهة «آل البيت» رضي الله عنه، تأدب بأدب موسى بن علي الرضا، وعلي بن موسى تأدب بأدب والده موسى الكاظم، وموسى الكاظم تأدب بأبيه جعفر الصادق، وجعفر الصادق تأدب بأبيه محمد الباقر، ومحمد الباقر تأدب بأبيه علي بن زين العابدين، وعلي بن زين العابدين تأدب بأبيه سبط الرسول وبضعته الحسين، والحسين تأدب بأبيه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعلي بن أبي طالب تأدب بأدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»<sup>(١)</sup>. انتهى ما ذكره صاحب «العقد النبوي».

---

(١) مطلبٌ في تحقيق «سند الخرقَة الصوفية» عند ساداتنا العلويين:

كتب الإمام أبو بكر العدني ابن عبد الله العيدروس في كتابه «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» ص ٥-٦ من «المجموعة العيدروسية» بما مثاله: ومما أخبرني به شَيْخِي الإمام العالم العامل العلامة جمال الدين محمد بن عبد الرحمن السَّخَاوِي

---

- وكلا روايته منه - إجازة مكاتبة بيني وبينه - أعني السخاوي - قال في كتابه الموسوم «بالمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» حديث لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال ابن دحية وابن صلاح أنه باطل، وكذا قال شيخنا -وهو الحافظ ابن حجر- أنه ليس في شيء من طرقها ما ثبت، ولم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الخرقة على الصورة المتعارف بها بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحا فباطل.

وقال السخاوي : «ثم إن الكذب المفترى قول من قال : «إن علياً ألبس الخرقة الحسن البصري»، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن البصري من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة، ولم ينفرد شيخنا بهذا بل سبقه إليه جماعة .

وقال أيضا بعض الفقهاء : لا يصح لبس الحسن البصري من علي رضي الله عنه فإنه ما رآه إلا أنه نقل الذهبي في «تهديب التهذيب» - وهو من أكابر الأئمة المحدثين وحفاظ المحققين - أن الحسن البصري ولد لستين بقية من خلافة عمر ورأى عثمان وعلياً وطلحة، وحضر يوم الدار في قصة عثمان، وعمره أربع عشر سنة، ولقد صدق لأن خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وخلافة عثمان رضي الله عنه أحد عشر سنة وإحدى عشر شهرا وثمانية عشر يوما .

وقال الذهبي أيضا : إن الحسن البصري روى عن عثمان وعلي وعمران ابن



الحصين ومعتل بن يسار وأبا بكر وأباموسى الأشعري وابن عباس وعمرو بن تغلب وجندب بن عبد الله بن عمر وخلقا كثيراً من العلماء رضي الله عنهم أجمعين .

قلتُ : ومما يؤيد قول القائلين برؤية الحسن البصري علياً رضي الله عنه ما نقله الإمام شيخ الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه «الإحياء» المكنى بأعجوبة الزمان لما ذكر نهي السلف عن الجلوس للقصاص في المسجد وأورد ما صدر من السلف في حقهم فذكر أن علياً رضي الله عنه أخرج القصاص من جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصري لم يُخرجه ؛ إذ كان يتكلم في علم.

قلتُ : وهذا دليل على رؤية الحسن البصري لعلي .

وعلى الحقيقة - وإن لم يثبت فيها حديثٌ صحيحٌ على ما ذكره شيخنا السخاوي وجماعة من الحفاظ - فإنها بدعة حسنة القصد فيها صحة لأولياء الله وإظهار شعار الفقر، وإن لم يرد في كيفية الخرقه فقد ورد ما يؤيد الصحة كما اشتهر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في المبايعه لأصحابه من الرجال والنساء، والتحكيم في حق الفقير شبه المبايعه كما ذكره صاحب «العوارف» . اهـ عن «الجزء اللطيف» ص ٦-٧ .

ووسع الإمام العديني في «الجزء اللطيف» البحث حول الخرقه ولُبسها وكذلك التحكيم بما يفيد الراغب من فوائد بحثه ص ٦-٨ من «الجزء اللطيف» ص ٢١٢-٢١٤ من «المجموعة العيدروسية» فكتب عن إلباس المشايخ للخرقة وما ترمز إليه وكذلك التحكيم ومفهومه بما مثاله مختصراً: قال السهرودي في الباب الثاني عشر من «العوارف» في شرح خرقه

المشايخ الصوفية : لبس الخرقة ارتباطاً بين الشيخ والمريد، والتحكيم بين الشيخ والمريد سائغ في الشرع لمصالح دنيوية، فهل يُنكر المُنكر في لبس خرقة على طالب صادق في طلبه يقصد شيخاً بحسن ظنٍّ وعقيدة يحكمه في نفسه ومصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طرائق المواجيد ويبصره بآفات النفوس وإفساد الأعمال ومداخل الشيطان فيلبسه الخرقة، علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ ودخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء لسنة مبايعته صلى الله عليه وآله وسلم.

يؤيده حديث الوليد بن عباد بن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال: «بايعنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كان، ولا نخاف في الله لومة لائم»، ففي الخرقة معنى المبايع، والخرقة عبء الدخول في الصحبة، والمقصود الكلي هو الصحبة، والصحبة تجمع للمريد كل خير . اهـ.

ثم تابع في « الجزء اللطيف » النقل عن « العوارف » بما مثاله:

قلتُ : ولا خفاء بأن لبس الخرقة على الهيئة التي تَعْتَمِدُهَا الشيوخ في هذا الزمان في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الهيئة والاجتماع لها من استحسان الشيوخ، وأصله من الحديث ما روينا، والشاهد لذلك أيضاً التحكيم الذي ذكرناه، وأنه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتم وأكد من الاقتداء لله في دعاء الخلق إلى الحق، وقد ذكره الله تعالى في كلامه القديم في تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحكيم المريد شيخه إحياء لسنة ذلك الحكيم، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾

انتهى.

وقال المؤلف الإمام أبو بكر العدني ابن عبد الله العيدروس عن شيخه الحافظ السخاوي : ولم ينفرد شيخنا بهذا بل سبقه إليه جماعة، وذكر أن المنكرين لحديث الخرقه لبسوها وألبسوها كشيخنا الدمياطي والذهبي والمكاري وابن حبان والعلاء المعلاطي والعراقي وابن الملتن والأنباسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين، وقال بعد ذلك: وإنكاري لحديثها مع إلباسي إياها لجماعة من أعيان الصوفية امتثالاً لإلزامهم لي بذلك تجاه الكعبة المشرفة تركاً بذكر الصالحين واقتضاء لمن أثبتته من الحفاظ المعتمدين . اهـ.

قلت: فهذا مما يؤيد الخرقه ولُبْسَها وإن أنكر المنكرون أصل حديثها، وهي بدعة حسنة كما حدثت بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدع كثيرة، وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم أن البدع على الإطلاق ليست بمستنكرة كما أحدثت جماعة من الفقهاء لبس الطيلسان على العمامة وقالوا : « ليس بحرام ولا مكروه » ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين لبسه، وكذلك لبس الخرقه ليس بحرام ولا مكروه، بل تجد فيه ما يؤيد من الأحاديث الصحيحة كما مر من التحكيم وحديث المبايع والإلباس.

ونقل الإمام العدني أيضاً في « الجزء اللطيف » صفة التحكيم الواردة عن مشايخ الصوفية ص ٢١٧ من « المجموعة العيدروسية » بما مثاله : وصورة التحكيم أن يضع المتحكّم يده في يد الشيخ ثم يقرأ آية من آيات الرجاء ويقول الشيخ بعد ذلك : رَضِيتَ بي شيخاً ؟ أو : بالشيخ فلان شيخاً ومؤدباً يدعوك إلى ما دعاه الله ورسوله وينهاك عما نهى الله عنه ورسوله ؟ فيقول : رضيت، وسواء كان التحكيم لواحد أو لجماعة، ثم يدعو، فإن اقتصر على ذلك أجزأه، ويستحب

للشيخ أن يزيد بعد الفاتحة وآية : «اللهم اجعل هذه الأيدي متصلةً بجبلك المستين الذي لا ينقطع، محصنةً بحصنك المنيع الذي لا ينصدع، واجعل هذه الصحبة مقربةً في الدنيا والآخرة . ثم يقول للمتحمم : أسلمت وجهك لله تعالى ؟ فيقول: نعم، ثم يقول له : رضيت بي شيخاً ومؤدباً ؟ فيقول: رضيت، ثم يقول الشيخ : يجمعنا الكتاب والسنة وتفرقنا الضلالة والبدعة، اللهم اجعلنا ووالدينا وأولادنا من المفلحين المنجحين المستبشرين المطمئنين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اللهم بمن تاب إليك فقبلته، واستغفرك فغفرت له، وسألك فأعطيته، واستجارك فأجرتة، اللهم قربنا بقربك، واجعلنا من حزبك، وأنسنا بأنسك، واغفر لنا يا خير الغافرين برحمتك يا أرحم الراحمين . اهـ .

وأفاد المؤلف نماذجَ عديدةً من صور التحكيم وأخذ العهد، ثم ذكر ص ٢٨ ما ذكره المشايخ عن تعدد الخرقه، حيث قال بعضهم : هي خرقتان : خرقه تعريف وخرقة تشریف، قال الإمام العدني نقلاً عن شيخه الرداد: نحن نقول بتوفيق الله: الخرقه حقيقتها واحدة وإن تعددت بيد المتمسكين ؛ لأنها سبب بين الله وبين العباد ولا تعدد كالعروة للمتمسكين والجل للمعتصمين، وكما أن الجبل والعروة لا يتعددان، فكذلك الخرقه لا تتعدد ؛ لأنها صورت بمعنى ارتباط ما بين العبد وبين الحق تعالى، والناس في هذه المعاني متفاوتون على حسب ما هم به من الحق وما هو به معهم، والشيخ يد الله في أهل إرادته، وسره بين أهل طاعته، وهي من حيث رسوم الأحكام خرق ثلاث :

- خرقه مجازية، وهي خرقه التأليف، وهي للمحبين المتشبهين، وبها يتألفون مشاهد الطريق.

- خرقه جوازية، وهي خرقه التعريف، للمريدين المتمسكين، وبها يتعرفون

وأما قوله عن لبس الخرقة : « بطرق كثيرة من الإشارة والكشف الباهر » فيعني ما يفتح الله به على الفقيه المقدم من الاتصال في المنامات بالرؤيا الصالحة وما يتمثل بالروح الخيرة كالملائكة وأرواح الأولياء الصالحين التي يأذن الله بها بشيء من الظهور للعباد والزهاد وأهل الرياضات والمجاهدات الصالحة في بعض الأحيان، وقد ثبت في الصحيح حركة الأرواح بأمر الله تعالى وظهورها في أحوال لمن هياه الله لذلك، كما ظهرت أرواح الأنبياء لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة الإسراء والمعراج، وإذا كان المعترضون يقولون : إنَّ ليلةَ الإسراء والمعراج حالةٌ خاصةٌ بالرسول صلى الله

---

على شواهد الهداية والتوفيق.

- خرقة إجازية، وهي خرقة التصريف، للهداة الراغبين، وبها يتصرفون في معاهد أحكام العلم.

والتحقيق : الخرقة الأولى لطلابها رعاية، وخرقة الطبقة الثانية لأصحابها هداية، وخرقة الطبقة الثالثة لأربابها ولاية.

وقولنا في الخرقة الأولى : إنها مجازية، فهو لعدم تحقق لباسها بحكمها.

وقولنا في الخرقة الثانية: إنها جوازية، هو الجواز المزيد لها على من هاج حكمها وعلمها.

وقولنا في الخرقة الثالثة : إنها إجازية، هو ليصلها بحكم الإجازة لوليّ رسمها.

اهـ . ص ٢٢٨ .

عليه وآله وسلم ليكون حجّتهم على حصر العلم في المستوى  
الظاهر للعين، فما بالهم عندما يعلمون أن صحابياً ضرب خيمته  
على مكانٍ من الأرض فسمع من يقرأ بسورة تبارك، فقال له  
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «إنه رجلٌ كان يقرأ بها في  
الدنيا فأُعطيها في قبره» أو ما في معناه، والسماع للصوت من  
جنس «عالم الروح» ولم يبهت النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم  
السامع ولم يكذبه ولم يتشكك في أمر انكشاف الأمر له أهو روحٌ  
صالحة أم من شيطانٍ؟ لعلمه صلى الله عليه وآله وسلم بصدق  
الرجل وأمانته .

ولهذا فسوف يكون تعليلنا لهذه الظواهر النادرة من باب علمنا  
وتأكدنا صلاح هؤلاء وصدق علاقتهم برهم، حيث لا يسوغ منهم  
الكذب ولا ما هو أقل منه، ولا ينبغي بعد تمام العلم والتثبت عن  
حال من ذكرنا خصوصاً آل البيت النبوي الشريف الذي شهد لهم  
القرآن والسنة بالتطهير أن نبهتهم كما هو قول المتعنتين المحدثين  
اليوم عند تحليلهم لهذه الظواهر المشككة عليهم واختلاطها في  
مفهومهم ووهومهم، بما يجريه الله من استدراج على أيدي  
الشياطين والأرواح الخبيثة للكهنة والسحرة والمشعوذين وأصحاب

الطلاسم والعلوم المحرمة في الإسلام، وأنها من الدجل والاستحضارات، وشتان بين هذا وذاك.

فالمستدرجون بالسحر والشعوذة والجن وما شاكل ذلك لا يكونون قدوة للناس في التسليك والتأديب والتهديب والمجاهدات الروحية العالية، من صلاة وصيام وتهجد وقيام، وتلاوة قرآن وأذكار، وتبتل للملك العلام آناء الليل وأطراف النهار.

المستدرجون بالطلسم والمنديل والتنجيم حكم القرآن والسنة بكذبهم ومروقهم لما هم عليه من الفسق والخذلان، أما أولياؤه المتقون وعباده الصالحون فكراماتهم صحيحة وكشوفاتهم أكيدة، ولا تتعداهم أو تخرج عن نطاق دائرتهم في المشاهدة والمماثلة، وهي أيضاً لا تخرجهم عن بشريتهم وضعفهم وافتقارهم لربهم في كل أحيائهم، ولا يصح لنا بأي حال من الأحوال أن نخلط الأمور ونعمم الأحكام، ونهول التصورات ونوهم الجليل المخدوع بأن الولاية ومظاهرها دعوى وزور، فالحقيقة دائماً إنما هي مفتقرة للتمييز والتفصيل من خلال معرفة الضوابط والشواهد والدلالات حيث لا إفراط ولا تفريط.

## مدرسة التصوف بحضرموت وضوابطها الشرعية

لا خلاف اليوم ونحن بين يدي فتن آخر الزمان « جوهرًا ومضموناً » أن نجد العداء المبرمج ضد المدارس الصوفية والمذهبية وشرف آل البيت النبوي، فقد استحکم في قلوب الناشئة وقلوب الجيل الأوسع من ضحايا المدرسة الحديثة بكامل نماذجها العلمية والتربوية دينية وعلمانية وإلحادية، وليس بوسعنا أن ندافع عن الحق ونبينه بهدوء وروية بعد أن غمر الباطل بدخانہ عقول الغالبية العظمى من الناس ؛ لأنه قدر وقضاء ؛ وليس بوسعنا أيضا أن نبرئ مدرسة التصوف بكافة نماذجها على ممر التاريخ من الخطأ أو الغلو والوقوع في مذمة العادات ؛ ولكننا نستطيع أن نقول كلمة الحق بتوفيق الله، ونصيح في وجه الباطل بعون الله، ونضع النقاط على الحروف لیتمعن المخدوعون قراءة الكلمات واضحة بينة، وفهم المعاني جليلة حسنة، فرب قارئ حرف قبل وضع نقطته ینخدع في الفهم والاستنتاج، ورب كاتب حرف أوهم الناس بحرفته أنه جدير بأسباب العلاج، و بین هذا وذاك یکنم جيش الحق وأدواته ووسائله ومسائله.



ومن داخل هذه البنية المحاطة بالإفراط والتفريط والكذب والتخليط أدخل بك إلى معسكرات الإيمان حيث يقف المؤمنون مبتهلين إلى الله راجين رحمته خائفين من عذابه، شاهدين النعم في كل صامت وناطق، خائفين النقم مع كل رعد وبارق، تعال معي أيها القارئ نظرك بيت ساداتنا « بني علوي » وقد كتب على باب مدرستهم:

وإنَّ الَّذِي لَا يَتَّبِعُ الشَّرْعَ مَظْلَقًا      عَلَى كُلِّ حَالٍ عَبْدٌ نَفْسٍ وَشَهْوَةٍ  
صَرِيحُ هَوًى يُنْكِي عَلَيْهِ لِأَنَّهُ      هُوَ الْمَيِّتُ لَيْسَ الْمَيِّتُ مَيِّتَ الطَّبِيعَةِ  
وَمَا فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ بَدْءٌ وَلَا انْتِهَاءٌ      مُخَالَفَةٌ لِلشَّرْعِ فَاسْمَعْ وَأَنْصِتِ  
وَحَلِّ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَخَبَّطُوا      وَلَا تَكُ إِلَّا مَعَ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ  
فَتَمَّ الْهَدَى وَالنُّورُ وَالْأَمْنُ مِنْ رَدًى      وَمِنْ بَدْعَةٍ تُخْشَى وَزَيْغٍ وَفِتْنَةٍ<sup>(١)</sup>

كتب صاحب «المشرع الروي» ص ١٦٣ : اعلم أرشدنا الله وإياك إلى سواء السبيل أن من أعظم العلوم نفعاً، وأكثرها خيراً الدنيا والآخرة جمعاً، وأشدّها في حياة القلوب وقعاً، معرفة سير أولياء الله العارفين، الذين بأفعالهم وأقوالهم على الله دالين، فيحصل

---

(١) ديوان الإمام الحداد ص ٣٨ الطبعة الأولى .

بذلك حسن الظن بهم ومحبتهم الموصلة إلى أعلى المراتب؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »، وجاء عن السلف الأولين : « إِنَّ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ »، وقد أوجب الله على عباده المؤمنين أن يسألوه في الصلاة التي هي عماد الدين أن يهديهم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأمر الله تعالى حبيبه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في كتابه بالاقتداء بأحبابه، وأخبره بفائدة أمناء رسله والاطلاع على أخبار الماضين من قبله، فقال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾، ولذا قال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى : الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوي بها قلوب المريدين، وقال : التصديق بعلمنا هذا ولاية صغرى، وقال بعض العارفين : التصديق بالفتح لا يكون إلا بفتح، ومصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ .

وتفاضل الناس بعضهم على بعض أظهر من أن يحتاج إلى دليل، وتفاوتهم فيه ولو بالسعي والاجتهاد غني عن التعليل، وليس ذلك

إلا بقدر تحصيلهم للعلوم والمعارف، كما يظهر ذلك للمتأمل العارف.

ولما كان العمر أقصر من أن يُحيطَ بكلِّها جملةً وتفصيلاً، ويستقصي أصلها علماً وتحصيلاً، وجبت المنافسة في الأنفس، الموصل إلى المحلِّ الأقدس، ولا ريبَ عند ذوي الطبع السليم، أن طريق السنة هو الصراط المستقيم والمنهج القويم، وكان المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتسمى أفاضلهم في عصرهم بِسِمَةِ الصُّحْبَةِ ؛ لشرفها على كل وصف، ثم تسمى مَنْ أدركهم بالتابعين.

ثم لما بَعْدَ عَهْدِ النبوة وتواری، واختلفت بعد ذلك الآرا، انفرد خواصُّ أهل السنة بصالح الأعمال وسني الأحوال، واشتهروا بالصوفية وصار ذلك رسماً مستمراً، وخبراً مستقراً . واختلفت عباراتهم في تعريفه، وأحسن الأقوال فيه ما قاله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه، وهو : «تجريدُ القلبِ تعالى إلى الله واحتقار ما سواه »، وأما تعريفه بمعنى العلم فهو : «علمٌ بأصولٍ يُعرفُ بها صلاحُ القلبِ وسائرِ الجوارح»، قال الحافظ السيوطي : وكثير من الناس يظن أن من مارس كتب الصوفية وقرأ

شيئا منها وعلق يسمى صوفيا، وليس كذلك، وإنما التصوف علم الحال لا علم القول، وهو أن يتخلق بمحاسن الأخلاق التي وردت بها السنن النبوية .

وقال بعض أئمة التصوف : « هو علمٌ مركبٌ من الحديثِ وأصول الدين»، فمن تضيع منهما وعمل بما علم وكان اعتقاده صحيحا كان صوفيا، ولقد كان سلفنا « بنو علوي » لهذه الطريقة سالكين، وبعلمهم عاملين، فأنفقوا نفيس العمر الفاضل مبتعدين عن العوارض والشواغل في تتبع سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بها، وكلما عمل إنسانُ بسنة رَّقاها الله تعالى إلى فعلٍ أخرى لم يكن يعمل بها، قال الجنيد رحمه الله تعالى : «الحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة، والسيئة بعد السيئة عقوبة السيئة»، فعملوا بواجب الخدمة على حسب الطاقة البشرية وسوايغ المدد الربانية، وأكثروا من العبادات وترك الشهوات، وإذا جنَّ الظلام، قاموا على الأقدام، وافترشوا وجوههم، وجرت دموعهم، وإذا كبر أحدهم طوى بساط المنام وتجنب مخالطة العوام إلا الحاجة أو ضرورة، وإذا خالطهم لذلك كان على حذر من المخالفات، وإذا مرض أحدهم ولم يعده صاحبه رأى له الفضل بذلك، وإذا لم يجتمع بأحد في يوم

عَدَّهُ من الأعياد<sup>(١)</sup>، وكان بعضهم يخرج إلى الجبال والأودية يتعبد الله فيها ليلاً ونهاراً وبعضهم ليلاً ويصبح في داره كبائت فيه<sup>(٢)</sup> ومع ذلك يواظب على الجمعة والجماعة أول الوقت إلا لعذر شرعي، وبعضهم يقطع نهاره في التدريس والإفتاء ويستغرق أوقاته في نفع الناس وقتاً فوقتاً وإذا وقعت مشكلة تتبع كلام العلماء فيها واستقصى أمرها حتى يعطيها حقها ويعرفها، فإن شك فيها توقف عن الإفتاء بها، وإن ظهر الحق على خلاف ما قاله أو أفتى ذهب إلى من أفتاه واعترف بالرجوع إلى الحق.

---

(١) المقصود هنا بعدم اجتماعه بأحد، أي: جلوسه عنده في منزله أو في موقع عبادته خصوصاً من عوام الخلق الذين لا يعرفون قيمة للأوقات، أو من أهل الأمر والنهي والجاه والسلطان، أما غير ذلك فهم يختلطون بالناس في مساجدهم وأسواقهم ومواقع العلم والتدريس وغيرها ؛ ولكنه لا يعطل وقتاً من تلك الأوقات التي حرصوا فيها على ترتيب عاداتهم وعباداتهم .

(٢) وهذه نماذج لبعض دون بعض، حتى لا يستعجل الحكم أبناء زماننا تأثراً بأبواق المعترضين الذين يتهمون الصوفية أمثال من ذكرنا بالرهينة والانطواء وما شاكلها من التهم، وكون البعض يفعل الشيء دون بعض مسألة بديهية لا تحتاج إلى اعتراض ؛ لاختلاف حال الناس ووظائفهم، أما الأمر المستقبح أن يكون «الجميع» على صفة معينة، ففيه بلا شك تعطيل كثير للواجبات الأخرى .

وكان لهم اعتناء تام بكتب الإمام الغزالي لا سيما « الإحياء » و« البسيط » و« الوسيط » و« الوجيز » و« الخلاصة »، وكان لهم اعتناء تام بالحديث وبلغ كثير منهم رتبة الحفاظ <sup>(١)</sup>، إلى أن قال: وبما تقرر يُعلم أن السادة بني علوي حازوا شرف النسب من جهاته الثلاث، فقد قال الإمام الغزالي شرف النسب من ثلاث جهات:

إحداها : الانتماء إلى شجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يعادله شيء .

الثانية : الانتماء إلى العلماء، فإنهم ورثة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

---

(١) حذفنا بعد هذه الفقرة استطرادات عن قواعد السلوك عند « بني علوي » للاختصار ؛ ولكن بما أن في بعض هذه القواعد إيضاحاً لمسائل الخمول والعزلة عند بعض متأخريهم ألحقناها في الحاشية بما مثاله :

ولما رأى المتأخرون في زمانهم ما أنذر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من علامات وآيات ما كانت تقع فيما مضى كالتعلم لغير العمل والتفقه للدنيا، والشح المطاع والهوى المتبع، وولي الأمر غير أهله، وظهر الفحش من كل جاهل على قدر جهله، وغير ذلك مما وردت به الأحاديث تركوا الإفتاء والتدريس والتأليف - والمقصود الغالبية وليس كلهم - وأقبلوا على خاصة أنفسهم، ورأوا أن ذلك هو الأهم، وهو في الحقيقة اشتغال بالمعنى المعبر عنه بالدراية، وهو أفضل من المبني الذي يقال له الرواية . اهـ من «المشرع الروي» ص ١٦٤ .

الثالثة : الانتماء إلى أهل الصلاح والتقوى .

وكانوا يُخَفُونَ العبادة خوفاً من الرياء، وإذا تكلم أحدهم في الوعظ أو غيره وخاف الرياء عدل إلى غيره مما لا يدخله ذلك، وإذا طرقه البكاء في تلاوة أو قراءة حديث صرفه إلى التيسم . ولا يذم نفسه في الملاء، وإذا بلغه أن أحداً من الأعيان عزم على زيارته في يوم درسه تركه<sup>(١)</sup>، وإذا دخل على غفلة كره ذلك وأوجز، وكانوا رضي الله عنهم زاهدين في الدنيا والرياسة فيها قانعين بالكفاف منها، ولا يفرح بشيء أقبل من الدنيا ولا يحزن على شيء أدبر منها، وربما انشرح صدره إذا صُرِفَتْ عنه إلخ ،

وكانوا يكرهون ادخار القوت إيثاراً لفراغ اليد من الدنيا على إمساكها، وقد يدخر بعضهم على اسم عائلته تأسيماً بفعله صلى الله عليه وآله وسلم، أو تسكيناً للاضطراب الذي ربما يقع، أو اتماماً للنفس، ويقدم كل واحد منهم كسب الحلال على سائر مهماته، وينفق المال في إطعام الجائع وكسوة العاري ووفاء الدين، وكان ينفق المال ولا يمسكه .

---

(١) المقصود بالأعيان : أهل السلطان والحكم والمظهر الديني الذي يجري على أحكامهم الظلم والبطش .

وكان كل واحد منهم يخدم الضيف بنفسه، ويأكل مع خادمه وعبد، ويحمل بضاعته من السوق، ويصافح الغني والفقير، والصغير والكبير، والشريف والوضيع، ويسلم على كل من لقيه، ولا يرى أن له عند الله حالاً ولو بلغ من الأعمال ما بلغ، بل ربما يحسب أنه يستحق العقوبة لما يشهد فيها من سوء الأدب بالنسبة لجناب الله تعالى، وكلما ترقى في المقامات رأى أنه أهون خلق الله اهـ<sup>(١)</sup>.

كانت هذه الضوابط -ومثلها وشبهها كثير- ماثلة في العديد من مصنفات السلف الصالح، وهي قاعدة المدرسة الصوفية التي وضع أساسها الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، وجعلها مدرسة اعتدال وقصد ذات تفرّد منهجي يتلاءم مع مفهوم الحديث النبوي : «وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة، فانظروا فيما تخلفوني فيهما»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المشرع الروي ص ١٦٥ باختصار .

(٢) هذا الحديث الصحيح يدعو الأمة إلى إقامة كتاب الله واتباع منهج العترة الشريفة التي أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس باقتنائهم، ثم أكد في الحديث - حتى لا ينفلح بعض المدّعين ويُقيّدوا الأتباع بما يفتح لهم ثغرة الحيلة والخداع -



وإذا كان الإمام المهاجر - وهو أحد كبار أئمة أهل البيت - اتخذ في القرن الرابع قراراً يُخْرِجُ به ذريته وأهله وبعض أتباعه عن حمى فتن عصره بالعراق، فكانت الهجرة إلى حصرموت، فقد كان قرارُ الفقيه المقدم باحتضان المنهجية الصوفية الأخلاقية أيضاً قراراً

---

والتلبس على الناس - فقال : « وإنَّ اللطيفَ الخبيرَ أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوضَ » فيا سبحان الله ! هذا حكمٌ قطعيٌّ للدلالة بعدم الافتراق بين كتاب الله نصاً وحكماً وتشريعاً وبين السنة النبوية التي يكون أهلها وحماؤها ودعاتها بضمانة الله تعالى العترة الشريفة، لمن أرادوا الاعتراف وصدق الاتباع .

وعلى هذا الحكم القطعي تكون اختياراتُ « بعض شيوخ العترة » كالفقيه المقدم، وانتهاجه طريق التصوف بالصورة التي أوضحها كتبُ السلف هو أصلٌ من أصول الاتباع لا الابتداع .

وقد أعجبني ما كتبه الدكتور محمد علي البار العلوي في مقدمته على «الرسالة الذهبية» للإمام علي الرضا بما مثاله بعد إirاده حديث الثقلين : «والغريبُ حقاً أنَّ حديثَ الثقلين هذا رغمَ وروده في « صحيح مسلم » وفي «سنن الترمذي» وحسنه، والحاكم النيسابوري في « المستدرك » و« مسند الإمام أحمد » إلا أن معظم المعاصرين من العلماء الخطباء يجهله أو يتجاهله، ويوردون بدلاً عنه حديث : « إني تاركُ فيكم ما إنَّ تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي أبداً : كتابَ الله وسنني » وهو في « موطأ مالك » وفي سننه ضعفٌ وانقطاعٌ وإن كان متنه ومعناه صحيحاً ! وكان من الواجب إيراد الحديثين كليهما معاً لأهميتهما في الباب . أمَّا كتمانُ هذا الحديثِ الشريفِ الصحيح فهو من كتمان العلم إلخ.

حَسْمٌ يتناسب مع الظرف والزمان والمكان، ويظل هذا القرار وثمراته سارية المفعول ما دام في الواقع مَنْ يُدْرِكُ معانيها ويفقه مدلولاتها، وينشأ ويتربى على شيءٍ من تلك الضوابط الأخلاقية الرائعة .

إن قراراً يبدأ بفردٍ في مجتمعٍ مليءٍ بالعلماء والمحدثين والفقهاء، فينتج عن هذا القرار تحول الجميع من رؤية فكرية إلى أخرى لدلالة واضحة على سلامة التحول وصدق القرار وواقعيته، ثم إنه قرارٌ سليمٌ وصحيح، والدليل على ذلك أن الشيخَ بامروان - وهو الفرد الوحيد الذي عارض فكرة التحول - إنما كان همُّه في الأصل شخصيةَ الفقيه الفدّة، حيث قال له : « وقد رجونا أن تكونَ مثلَ ابنِ فورَك »، والفقيه لم يكن في ذهنه مقامه وحاله ومستقبله وإلا كان بإمكانه أن يُرضيَ شيخه ويحقق له الحلم الذي كان يرجوه، وإنما كان يحملُ همَّ جدّه الإمام المهاجر يوم تحمّل البعدَ عن الوطن والمال والجاه في سبيل هذه العترة الشريفة .

لقد تبين أن الواقعَ آنذاك كان يُفهم ويُعلم أن اختياراتِ أهل البيت النبويِّ وتحولهم من أمرٍ إلى أمرٍ يلزم البقية أن تكون تبعاً لهم؛

لأنهم سَفَنُ النجاة عند الفتن والبلايا والحن، فتبعهم الناس.. كلُّ الناس.

إن مدرسة الفقيه المقدم أثبتت بجدارة على مدى القرون المتتابعة أنها من أفضل المدارس الإسلامية في الواقع العالمي كله، وكيف لا تكون كذلك ورائدها وقائدها وشيخها إمام من أفضل أئمة البيت النبوي في عصره ؟ جمع الله له بين العلم حتى بلغ به رتبة الاجتهاد، وبين الحلم حتى جذب به المخالفين والموالين على طريق العباد والزهاد، إنها مدرسة وصف الإمام الحداد رجالها فقال :

وأصولنا وشيوخنا من سادة علوية نبوية فاسمع وعي  
الشيخ نور الدين ثم محمد ويليهِ عيسى ذو الحل الأرفع  
وأحمد وعبد الله مع علويهم بصريهم وجديهم مهما دعي<sup>(١)</sup>  
وسليل علوي على منهاجه وسليله فمسلم في المَرَكع<sup>(٢)</sup>  
ردَّ الرسول عليه مثل سلامه: «يا شيخ» فاعجب للفخار الأجمع

---

(١) أحمد المهاجر وولده عبد الله وبصري وجديد أبناء عبيد الله بن أحمد المهاجر.

(٢) هو محمد بن علوي، ثم ولده الإمام علوي بن محمد المشار إليه بأنه «على منهاجه» ثم سليله علي خالع قسم الذي رد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه السلام .

ونزيل مريباطٍ إمامٍ جامعٍ      أصلٍ لأشياخ الطريقِ مُفرِّعٍ<sup>(١)</sup>  
وبنيه خُصَّ إمامهم أستاذهم      شيخ الشيوخ العارف المتوسع<sup>(٢)</sup>  
وتلاه علويٌّ أتى بعليهم      وعفيفهم ومحمد المستودع<sup>(٣)</sup>  
ووجه دين الله سقاف العُلا      والفخر والحضار يسرع إن دُعي<sup>(٤)</sup>  
والعيدرُوس القطب سلطان المَلا      وأخيه نور الدين شيخ المهيع<sup>(٥)</sup>  
ومحمد القوام صاحب رُوغة      ونزيل عديد الفقيه الأورع<sup>(٦)</sup>

(١) سيدنا الإمام محمد بن علي المتوفي بمرباط من أرض ظفار سنة ٥٥٦ .

(٢) شيخ الشيوخ هو سيدنا الفقيه المقدم المترجم له في هذه الترجمة .

(٣) علوي المعروف بالغيور، توفي سنة ٦٦٩، وأما أبناء علوي الغيور علي وعبد الله المشار إليه بالعفيف، ومحمد المشار إليه بالمستودع هو محمد بن علي مولى الدويلة، توفي سنة

٨١٩ .

(٤) سقاف العُلا هو الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة، توفي سنة

٨١٩، وأولاده أبو بكر السكران وعمر الحضار، توفي السكران سنة ٨٢١،

وتوفي الحضار سنة ٨٣٣ ساجدا بتريم .

(٥) هو السيد الإمام عبد الله بن أبي بكر، لُقِّبَ بالعيدروس، وهو اسم من أسماء الأسد

كما ذكره الإمام الزبيدي في (( تاج العروس ))، وتوفي سنة ٨٦٥ .

(٦) صاحب رُوغة هو الشيخ العلامة محمد بن حسن بن محمد بن علي بن

الفقيه المقدم، ورُوغة قرية شرق تريم، توفي سنة ٨٤٥ .

ومحمد ذاك الفقيه وصنوه      الشيخ نور الدين أنس المربع<sup>(١)</sup>  
 ومحمد ذاك المعلم زاهد      ومجاهد فيهم عظيم الموقع<sup>(٢)</sup>  
 والعدني البحر الخضم أخى الندى      وكذا الوجيه المتقي الأخشع<sup>(٣)</sup>  
 وسليل علوي بأحمد جحدب      والشيخ شيخ ذي المحل الأرفع<sup>(٤)</sup>  
 وسليله ذاك العفيف وصنوه      الحبر عبد القادر المتضلع<sup>(٥)</sup>

(١) محمد بن علوي بن أحمد ابن الفقيه المقدم، توفي سنة ٧٦٧، وأما صنوه  
 - أي: أخوه - فاسمه علي، وقد توفي بمكة المكرمة .

(٢) محمد المعلم المراد به الشيخ الشريف العلامة محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن  
 الفقيه المقدم، توفي سنة ٨٢٢ بتريم، وهو المكنى بأبي مريم .

(٣) هو الإمام أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس توفي بعدن ودفن بها سنة  
 ٩١٤هـ، وأما قوله (وكذا الوجيه) فهو الشريف عبد الرحمن بن علي بن أبي  
 بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف توفي بتريم سنة ٩٢٣ .

(٤) هو الشيخ الشريف أحمد بن علوي ابن المعلم محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن  
 الشيخ عبد الله باعلوي، عُرِفَ بجده جحدب، توفي سنة ٩٧٣، وأما الشيخ شيخ  
 فهو شيخ بن عبد الله بن شيخ بن شيخ عبد الله العيدروس صاحب ((العقد  
 النبوي))، توفي بأحمد أباد سنة ٩٩٠ .

(٥) العفيف هو عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس سليل صاحب ((العقد  
 النبوي))، توفي بتريم سنة ١٠١٩، وأما صنوه فهو الشريف عبد القادر بن شيخ  
 صاحب تاريخ ((النور السافر))، وله مؤلفات عديدة، وذكر صاحب ((شرح  
 العينية)) أن ولادته كانت في ربيع الأول ٩٧٨، توفي سنة ١٠٣٨ رحمه الله .

والشيخ أبي بكرٍ سلالَةٍ سالمٍ ذي الفخرِ والجاهِ الفسيحِ الأوسع<sup>(١)</sup>

هذه النماذج المذكورة في قصيدة الإمام الحداد شفعتها بنماذج  
أخرى في ذات القصيدة وفي قصائد أخرى، وكلُّها تنبي عن مدرسةٍ  
ذاتٍ مقامٍ عظيمٍ.

### الماخذ المحسوبة على التصوف وموقف مدرسة الفقيه المقدم منها

وجب علينا ونحن نكتب ترجمة الإمام الفقيه المقدم بلغة عصرنا  
ولجيلنا من أحفاده وأتباع مدرسته والمنتسبين إلى منهجه، بإدراك  
وعلم أو بحكم الوراثة والتقليد، أن نزيحَ عن وجه هذه المدرسة  
ومنهجها ما يحاوله المغرضون عمداً أو يروّجه المنتفعون قصداً، أو  
يتحدث به المخدوعون في عصرنا، وما ينسبونه من تحريف أو  
تشويه أو ابتداع أو فساد في التوجه في منهج التصوف والصوفية،

---

(١) الشيخ أبوبكر بن سالم «صاحب عينات»، ولد سنة ٩١٩، وتوفي سنة ٩٩٢  
بعينات.

متخذين من إفراط بعض الصوفية وغلو بعض الأتباع ومفاهيم بعض العلماء حجة قاطعة على ما حكموا به وقرروه .

والحق في ذاته قويٌ بحجته، ويظل كذلك حتى يوسد الأمر إلى غير أهله، فعندها تنقلب الموازين والأقيسة رغماً عن الحق وأهله، ويصير الحق باطلاً بالأدلة، ويصير الباطل حقاً بالأدلة، وعند ذلك يجب التثبت في كل حكمٍ وتقدير.

والتصوف بكونه علماً وأخلاقاً وأدباً وسلوكاً أمرٌ مضبوطٌ بالكتاب والسنة، وهو الأساس والقاعدة، ومن شذ عنها بإفراطٍ أو تفريطٍ فلا ينطوي أتباعُ المدرسة كلها بتهمته، ولا يحاسبون بزلتة ولو كان من شيوخها، ويجب حسن الظن بالجميع، وقد صنف العديد من العلماء قديماً وحديثاً كتباً ورسائلَ عديدةً تجلو كثيراً من الإشكال المستحكم في عقول البعض دون البعض حول التصوف والصوفية، وبرغم أننا في هذه الترجمة لن نتناول التصوف بعمومه، ولن نشرح غوامضه وما هو عليه، وإنما سنأخذ طرقات خاصة بمدرسة فيه، هي مدرسة الاعتدال والقصد .

والقصدُ والاعتدالُ أصلٌ من أصول الملة الإسلامية سواء في علوم التصوف أو في غيرها، وكما بنى إمامنا الفقيه المقدم مدرسته على

هذا المنهجية المعتدلة فقد سبقه كثير من المعتدلين ؛ ولكنهم يمثلون نهجا ملائما لزمانهم ومكانهم ضمن مدرسة التصوف عامة التي هي جزء من منهج أهل السنة والجماعة، يقول الإمام الجنيد سيد الطائفة عن منهج عصره وسلوك طريق التصوف آنذاك : « طريقتنا مضبوطة بالكتاب والسنة، وإذا رأيتم الرجل تنخرق له العادات وتتواتر منه الكرامات فانظروا حاله عند الأمر والنهي، فإن قام بهما فوليّ كامل، وإلا فلا عبرة له عند الأولياء، ومن لم يؤمن على الأدب الشرعيّ كيف يؤمن على سر الولاية المرعيّ ؟ » (١).

وهذه قاعدة الاعتدال ، والتصوف الصحيح يهدف إلى تكوين شخصية الكتاب والسنة بمفهوم عمليّ مع أخذ الاعتبار للزمان والمكان (٢)، وغالب المعترضين على التصوف الصوفية إنما يعترضون على الترسّم الكاذب والادعاء بالأحوال والمقامات ممّن لا خلاق له، أو ممّن يتخذها غرضاً للرزق والحيلة والعبث بعواطف الناس، وهي

---

(١) عن « المشرع الروي » (١ : ١٦٤) .

(٢) المقصود باعتبار الزمان والمكان : الخمول والعزلة عندما يجب أن تكون كموقف يربط بين الصوفي وربه، ويعزل بين الصوفي والظلم الاجتماعي المتضافر عليه، والجهاد والحركة عندما يدعو داعيها الجميع .



أيضا مادةُ التهمةِ الإعلاميةِ الغرضيةِ التي يدندن عليها المُعادون للمنهج الصوفي كُله . وهذه السلبيات حيثما وجدت تُعتبر ترةً ونقصاً على فاعلها ولا تُعتبر حجةً على فساد المنهج ذاته، فهناك من يدعي معرفته لعلم الحديث أو العقائد أو التفسير أو علوم التربية والآداب، وهو يتحذها غرضاً لأهدافه ومصالحه، أفتكون دعواه حجةً لمن أراد أن يتهم المنهج الإسلامي بأنه فاسد، لأن زيدا وعمراً كان مسلماً فاسداً أو محدثاً فاسداً ؟

إن التصوف في حد ذاته علمٌ، وقد تناول العديد من المنصفين تعليلَ مظاهره وأصلها الإسلامي، قال المؤرخ ابنُ خلدون في «مقدمته» عن التصوف العام : هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف في العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والابتعاد عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد مما يُقبل عليه الجمهور من لذةٍ وجاهٍ ومالٍ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان عاماً في الصحابة والسلف، فلما نشأ الإقبال على الدنيا بعد القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .

وفي مدرسة حضرموت يوصف الصوفي والصوفية بهذا النعت الذي أثبتته الإمام العيدروس في كتابه «الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر» حيث قال : « الصوفي العالم بالله هو الذي يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأحوال والأوقات كلها بالعلم، ويطهر الخلق مقامهم ويطهر الحق مقامه، ويستر ما ينبغي أن يستر ويظهر ما ينبغي أن يظهر، ويأتي الأمور من مواضعها بحضور عقل وصحة وتوحيد وكمال معرفة ورعاية وصدق وإخلاص، وهم أهل الشريعة والطريقة والحقيقة»<sup>(١)</sup>.

وإمامنا الحداد في « القصيدة العينية » أبرز لنا منهج السلف وطريقهم وهو طريق الكتاب السنة ممثلة في مدرسة الفقيه المقدم بحضرموت، وهاهو يقدم ضوابط الطريق في هذه الوصية :

والقصدُ ذِكْرُ نَصِيحَةٍ وَوَصِيَّةٍ لِلنَّفْسِ وَالْإِخْوَانِ إِذْ كَانُوا مَعِيَ  
تَقْوَى إِلَهِ الْعَالَمِينَ فَإِنَّهَا عِزٌّ وَحِرْزٌ فِي الدُّنَا وَالْمَرْجِعِ  
فِيهَا غِنَى الدَّارَيْنِ فَاسْتَمْسِكْ بِهَا وَالزَّمْ تَنْلُ مَا تَشْتَهِيهِ وَتَدْعِي  
وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا الدِّنِّيُّ مَتَاعُهَا دَارِ الْوَبَاءِ فَمَا بِهَا مِنْ مَرْتَعٍ

---

(١) الكبريت الأحمر ص ٦ من « المجموعة العيدروسية » .

تُلهي عن الأخرى ولا تَبْقَى ولا  
وعليك بالصبر فلا تَعْدِلْ به  
والخوف لله العظيم وبالرجاء  
والصدق والإخلاص لله احتفظ  
والتوبة الخالص أول خطوة  
وبمُر ما يَقْضِي الإله وحلوه  
ولصالح النيات كُن متحرراً  
واقنع بميسور المعاش ولا تُطل  
واحذر من الكبر المشوم فإنه  
ومن الرياء فإنه الشُّرك الخفي  
والنفس رُضها باعتزال دائم  
وهواك جاهده جهاد منازع  
واعمر بأوراد العبادة عُمرك الـ  
واتل القرآن كلام ربك دائماً  
والذكر لازمهُ وواظبه على  
فهو الغذاء لكل قلب مُهتدٍ

تَصِفُو بحال فاجتنبها أو دَع  
شيئاً وبالشكر الأتم الأوسع  
فكلاهما مثل الدواء الأنفع  
بهما فإنهما عماد المشرع  
للسالكين إلى الحياء الأمنع  
كُن راضياً ومن التوكل فاكرع  
مستكثراً منها وراقب واحشع  
أماً وعملاً لا يحل تورع  
داء ومن عجب وشح مهلّع  
ومن التفحش شيمة العبد الدعي  
والصمت مع سهر الدجى وتجوّع  
ومخالف مثل العدو الأبشع  
فاني وساعات الزمان المزمع  
بتدبر وترتل وتخشع  
مر الزمان مع الحضور الأجمع  
وهو الدواء لكل قلب موجع

وعليك بالصَّلواتِ فاعرفْ حَقَّها      ومكانَها من دِينِ رَبِّكَ واخضع  
واحسنْ محافظَةً عليها واحضرنْ      فيها ولا تغفلْ ولا تتوزعْ  
والصومِ والزَّكواتِ والحجَّ إلى      بيتِ الإلهِ فقمْ بفَرْضِكَ واسرعْ  
واعلمْ بأنك عن قريبٍ ميّتٌ      فاذكُرْ مماتَكَ واخشِ سوءَ المَصرَعِ  
واذكُرْ بأنك عن قليلٍ صائرٌ      في بطنِ قبرٍ من فلاةٍ بَلَقَعِ  
ومن القبورِ إلى النشورِ لِمَحْشَرٍ      والوزنِ والجسرِ المَهُولِ الأشنعِ  
ثمَّ المصيرُ لجنّةٍ ونعيمِها      أو حرٌّ نارٍ والعذابِ الأَفْظَعِ<sup>(١)</sup>

هذا هو منهج التصوف عند أهله ورجاله، وهذا الذي عليه  
المعول .

### الضوابط المميزة بين الكرامة للولي والاستدراج للمدعي

كما صار الخلطُ والتشويشُ في هذا العصرِ حولَ مسألةِ الصوفيةِ  
والتصوفِ فقد امتدَّ التشويشُ إلى كثيرٍ من ثمراتِ العملِ الصالحِ  
ومظاهرِ رجاله من الصالحين، وكان من نتائجِ هذا الخلطِ المتعمدِ

---

(١) ديوان الإمام الحداد ص ١٧٩-١٨١ الطبعة الأولى.

والتشويش المبرمج تساوي الكرامة التي تصدر من أولياء الله بالدجل  
والسحر والشعوذة الجارية على أيدي أولياء الشيطان، حتى صار  
الجيل المخدوع لا يُصدّق بثمرات الأعمال الصالحة في الأولياء،  
فضلاً عن تأييد صدورها أو بروزها على أيدي من يشاء الله له  
ذلك .

ومجارةً للزمان وأهله، ورفقاً وإشفافاً بهم حتى لا ييهتوا الحقَّ  
ويستقبحوه ألزَمْنَا أَنْفُسَنَا فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ تَجَاوُزَ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ،  
وَإِذَا لَزِمَ الْحَالُ أَوْ اضْطُرَّ رِنَا لَذِكْرِ شَيْءٍ مِنْهَا شَفَعْنَاهَا بِالتَّعْلِيلِ  
والتَّحْلِيلِ حَتَّى لَا تَصْبِحَ خَارِجَةً عَنْ حَدِّ الْبَرْهَانِ وَالِدَّلِيلِ، وَقَدْ  
اسْتَوْفَيْنَا الْبَحْثَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِ «شُرُوطِ الْإِتِّصَافِ فِي مَنْ  
يَطَالِعُ كُتُبَ الْأَسْلَافِ كَالْمَشْرِعِ وَالْغُرَرِ وَالتَّرْيَاقِ وَالْجَوْهَرِ الشَّفَافِ»،  
وَهُوَ بَحْثٌ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ رَاغِبٌ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ بِلِسَانِ أَهْلِ هَذَا  
العصر، وَمِنْهُ نَسْتَقِي إِيضَاحَ الضَّوَابِطِ الَّتِي وَضَعْنَاهَا عُنْوَاناً لِهَذَا الْفَصْلِ  
فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ .

## الكرامات والخوارق

تعتبر الكرامات إحدى ثمرات الطاعة للعبد المسلم إذا صدق مع الله، وليست لازمة له، والثابتُ عن المتقدمين من السلف الصالح بحضرموت خاصة أنهم كانوا لا يهتمون بالكرامة بكونها مطلباً من مطالب الطاعة ولا شرطاً من شروط الولاية، وإنما يُؤثّر عنهم قولهم: «الاستقامة أعظمُ كرامة»، وإذا ما أجرى الله سبحانه وتعالى شيئاً من الخرقِ للعادة على يد أحدٍ من عباده وعُلِمَ حاله الظاهر من الاستقامة والصدق والإخلاص لله من خلال ((معاملاته وعاداته وعباداته)) سلّم له ما أجرى الله على يديه واعتقد فيه الصلاحُ وطلب منه الدعاء، مع عدم الاعتقاد بعصمته ولا بشرط استمرار تكرار كرامته<sup>(١)</sup>.

إن أساس علاقتنا بالكرامة يكمن في ثمرات سلوك أسلافنا الصالحين بحضرموت وغيرها، وهي أيضاً علاقتنا بمن خرق العادة ونُقِلَ ذلك عنه في الماضي أو الحاضر أو المستقبل على القواعد التالية:

---

(١) عن «شروط الاتصاف» باختصار .

أولاً : أن الكرامة انفعالٌ يخلقه الله تعالى في بعض الظواهر على غير معتادها لتأييد حقٍّ أو دحض باطلٍ على يد عبد من عباد الله الصالحين.

ثانياً : ليس كلُّ وليٍّ ذا كرامة، ولا كلُّ ذي خرقٍ لمألوفٍ العادة بوليٍّ، وليست الكرامة - عند أهل السنة والجماعة - شرطاً من شروط الولاية، وإنما أهمُّ شروط الولاية تقوى الله.

ثالثاً : قد يلتبس على الناس أمرُ الكرامة بالسحر والشعوذة وغيرها، ولا يمكن الفصل بينهما إلا من خلال شواهد السلوك الذاتي، وشهادة أهل عصره له بالصلاح والتقوى.

رابعاً : ليس من شرط الإيمان أنْ أُصدّقَ بكرامة فلانٍ أو خارقة علانٍ، وإنما شرط الإيمان أن لا أكذبَ بحصول ذلك لمن اتقى الله عموماً.

خامساً : وجوب العلم بأنَّ غالبَ الكرامات والحكايات المثبتة في غالب كتب التراجم منقولةٌ بلفظ الرواة وتصرفهم وليست مثبتة بلفظ الولي ذاته، وهذا من أسباب الإفراط في الوصف وحصول الزيادات التي تصرفُ الحكايات عن حقائقها، وقد تابعنا هذه

الظاهرة في بعض كتب التراجم فترجح لنا أن كثيراً من الكتاب يُفَرِّطُونَ في مسألة حُسْنِ الظَّنِّ، وكذلك في إبراز مقام الشيوخ أمام الأشباه والأنداد فيزيدون ويُنقصون، ويعظمون ويهولون، وليس أدلَّ على ما ذكرنا هنا مما اعترف به مؤلفُ «الجوهر الشفاف»، فَأَنْصِتْ وتَدَبَّرْ لما يقوله هذا المؤلف في أول الكتاب (١ : ٨) قال المؤلف :

وقد أُغْيِرُ بِنَاءَ بعضِ الحكايات، ثُمَّ أَنْظُرُ إلى معنى الحكاية وصورتيها، ثم أُثَبِّتُها على رَسْمِها بما حَسَنَ من البناء، وأَتَكَلَّمُ فيها على لسان الحال، ولا أعبأ فيما سبق بزائد اللفظ وناقصه، وسابقه ولاحقه، وأُبَدِّلُ في بعضها بعضَ الألفاظ ! وحَذَفْتُ الإسنادَ من الطبقات الثلاثِ الأولِ .

وفي هذا البسط من مؤلف «الجوهر الشفاف» غُنيَّةٌ كافيةٌ للاستدلال على ما قررناه من زيادة النقلة والكتبة وصرف النص في بعض الأحيان بما يُضَيِّفُونَهُ من الفهم عن حقيقة حال المتكلم به <sup>(١)</sup>.

---

(١) خُدم «الجوهر الشفاف» بتحقيقٍ للفقير كاتب الترجمة يتناول متابعة الحكايات وأصولها والأوجه العقلية المناسبة لفهم الكرامات والأحوال المذكورة بما يناسب القاموس العصري وفهم الإنسان المعاصر الذي تشكل عليه مثل هذه الأمور، ولا



وها أنذا أضعُ بين يدي القارئ واحدةً من هذه الحكايات للاستدلال بها على ما ذكرتُ، وللتأكيد أن نسبة الطامّات والشطّحات لبعض الأولياء تأتي غالباً من نقل التلاميذ والمريدين وسوء تفسيرهم للأقوال .

كتب مؤلف « الجوهر الشفاف » في ترجمته للأستاذ الأعظم الفقيه المقدم «الحكاية الخامسة والثلاثون»:

روى المشايخ رضي الله عنهم أن شيخ شيوخنا الفقيه المقدم محمد بن علي رضي الله عنه خرج ذات يوم من الأيام إلى شارع من شوارع تريم وكان ذلك الشارع مطروقا، فوقف الشيخ فيه فمرَّ به بدويٌّ معه جملٌ عليه سعفٌ، فساومه الشيخ في السعف فأبى

---

زال هذا التحقيق جارياً .

وكان سبب الاهتمام بهذا التحقيق ما يوجد في « الجوهر الشفاف » من حكايات وأحوال يقف عندها البعض موقف الحيرة وخاصة أولئك الذين يعتقدون أن السلف يبالغون في وصف أنفسهم وأحوالهم .

وقد لاحظنا أن الكرامات والأحوال على أنماط، منها كرامات يمكن تأويلها، ومنها كرامات يتوقف عندها ويتحقق في نقلها من حيث زيادة المؤلف أو عدم ثقة الناقل، وأنماط أخرى ستظهر إن شاء الله عند ظهوره .

البدوي أن يبيع السعف للشيخ بالذي أراد، فقال له الحاضرون: بيع السعف للشيخ بالذي أراد، فأتى إليه الفقيه الأجل الإمام الأكمل أحمد بن عبد الرحمن أبو علوي وقال له: بيع الشيخ السعف بما أراد فإن الشيخ كذا وكذا، وذكر شيئاً من مناقب الشيخ، فقال له البدوي: هو الشيخ محمد بن علي الله؟ فلما سمع الشيخ ذكر الله قال بأعلى صوته: نعم.. أنا الله.. وسقط مغشياً عليه.. إلخ.

وهذه الحكايات نقلها «الترياق» وغيره<sup>(١)</sup> لكن كان نقلهم لقول الفقيه «أنا الله!» ليست بصفة الاستنكار ولكن بصفة الإقرار، وهذا عكس الواقع لأن الفقيه حرّ مغشياً عليه من عظم الصدمة لما قال البدوي ذلك.

---

(١) قولنا: «وغيره»، إشارة إلى العديد من كتب التراجم «كالغرر» و«شرح العينية» و«المشرع»، فكلهم فسروا العبارة بصفة الإقرار وعللوا ذلك بما يليق بمقام الفقيه المقدم، مع العلم أن اللفظة وإصابة الفقيه بالإغماء ومقام الفقيه الواقعي بره يبرز أن اللفظة كانت بصيغة الاستنكار، وهو اللائق حقاً بمقام عالم مجتهد يعرف مقامات الرجاء والخوف، وهذا الذي يدل عليه سياق العبارة للمتأمل والباحث.

سادسا : شاع في العصور السالفة الاهتمام الكلّي بتسجيل ورواية الكرامات في التراجم استجابة لمستوى فهم الناس وثقافتهم ورغبتهم وكانت آنذاك أهم ما يتميز به الولي عند العوام، أما بقية الأعمال والمبرات والأخلاق فيتساوى فيها غالب العلماء والصلحاء، فيتجاوزونها أو يجعلون الكلام عنها عرضاً عابراً فقط، وينتقون من مجمل الحياة أخبار الخوارق كيفما كانت على غير تمحيص ولا تدقيق، وهذا واضح كل الوضوح إذا طالعت كتاباً من كتب التراجم القديمة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر وخلال جمع مواد هذه الترجمة أجدُ كافّة ما بين يدي من تراجم الإمام الفقيه المقدم ترضخ لثقافة الكاتب وعصره، ولا أجدُ أحداً من هؤلاء المترجمين من يعمل الذهن في كافّة ما يُروى عن الفقيه المقدم أو عن غيره ؛ ليجعل من الحكايات والمرويات حدثاً واقعياً يمكن استيعابه وفهمه وتعليقه، إما بشرحه وتبيين غامض عباراته، وإما بإرجاعه إلى مستوى القدرة الإلهية الفاعلة في الحدث والمسببة له . والكتابُ والمترجمون الأوائل معذورون في ذلك، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن نُخطئ عملهم ؛ لأنه ثمرَةُ فقههم وعلمهم ومستوى ثقافة عصرهم .

أما ترى أيُّها الأخ القارئ وأنت تقرأ ما أثبتناه هنا من تعليلٍ وتحليلٍ وتبسيطٍ لظواهر الكرامةِ والحكايةِ أن في الحياةِ من رجالٍ عصرنا وجيلنا من لا يستسيغُ هذا التعليلَ والتحليلَ ؟ وإنما يعتبره تحريفاً لحقيقةٍ ما أجمعَ عليه المترجمون ورضيهُ الشيوخُ السابقون، وتركوه كما هو للاطلاع دون أن يمسوه بتحليل ولا تعليل ولا مناقشة، وهؤلاء القائلين بهذه القول فئةٌ لا زالت تحملُ ذاتَ التَّصوراتِ المَبْنِيَّةِ على سلامة ما رُوِيَ وما كتب بلسان ذلك العصر، وأن الفسادَ كامناً في فهم المتأخرين وثقافتهم وأسلوب دراساتهم.

ولهذا السبب وللخروج من هذه المتناقضات بين فكر وقبولٍ جيلٍ دون جيلٍ، حَمَلْنَا أَقْلَامَنَا لمحاولة الإيضاح والتقريب حسب المستطاع، بحيث يظل احترام الجميع لعباد الله الصالحين قائماً دون مَسَاسٍ شخصياتهم وعقائدهم، ومن ثم نرجع إلى التراث ونفهمه بلغة عصرنا مقرونا بالاستدلالات والبراهين والتحليلات، وما استعجم من التراث ولم نفهمه نتركه كما هو ولا نُصَدِّرُ به حُكماً على الواصف له ولا الموصوف، لأن هذه الحكايات أخبارٌ وآثارٌ يُستفاد من روايتها عندما تكون مفهومةً ومعلومة، وما لم يُفهم منها

يُعرض على الضوابط المذكورة سلفاً، فإن تطابقت معها فتلك ظاهرة نادرة، وإن لم تتطابق معها فتترك كما هي تحت دائرة الاستفهام، ويُلتفتُ إلى أعمالٍ ومجاهداتٍ ومبرّاتٍ أولئك الصالحين، فهي الأصلُ وعليها المعوّلُ في الاقتداء والاهتداء، وهي أيضاً ضابطُ التمييزِ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وبين الكرامة والدجل، وبين انفعال الظواهر لأهل الحق وبين انفعالها لأهل الباطل، وكلاهما لا بد في الحياة، وذلك أمرُ الله في العباد، وقد جَمَعَ في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين معجزة النبوة وبين استدراج الكاذبين كمسيلمة والأسود العنسي وسجاح وغيرهم، وفي الوقت الذي كان القرآن ينزل على رسول الله حقاً وصدقاً كان مسيلمة الكذاب يعلن كذب القرآن والرسالة ويقرئ قومه قرآناً آخر، ويظهر لهم كراماتٍ مصنعةً بالحيلة والخداع، فكان لمسيلمة قومٌ وأتباعٌ لم ينقطعوا بموت مسيلمة ولم ينقرضوا، وكان لرسول الله قومٌ وأتباعٌ لم تنقطع منهم الكرامات والآيات بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينقرضوا<sup>(١)</sup>، بل بارك الله في آثارهم،

---

(١) هذه قاعدة معروفة ومعلومة، فمدرسة التمدّيب بالمداهب على هذه الكيفية من الترابط منذ العصر الأول إلى اليوم، وتقابلها المدرسة الحديثة الداعية لنبذ المذهبية

وَحَقَّقَ فِيهِمْ قَوْلَ رَبِّهِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .  
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

### ضوابط الشطحات والعبارات الموهمة

يُتَّهَمُ الصُّوفِيَّةُ فِي عَصْرِنَا بِأَنَّهُمْ يَتَجَاوِزُونَ حَدَّ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ فِيمَا  
يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ عِبَارَاتٍ وَشَطْحَاتٍ شَعْرِيَّةٍ وَنَثْرِيَّةٍ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى  
ذَلِكَ الشَّطْحِ بِقِصَائِدِ ابْنِ الْفَارُضِ وَكُتُبِ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَعِبَارَاتِ  
الْحَلَّاجِ وَغَيْرِهِمْ، وَمِنْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ وَالشَّطْحَاتِ عَمَمُ الْمُتَأَخَّرِينَ  
حُكْمَ الْمُرُوقِ وَالْفَسَادِ عَلَى مَدَارِسِ التَّصَوُّفِ وَالصُّوفِيَّةِ، أَيْنَمَا كَانُوا  
وَكَيْفَمَا كَانُوا، وَخَاصَّةً فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ كِتَابَةُ  
الرِّسَالِ وَالْمَصْنُفَاتِ وَصَارَتْ تَوَزَّعَ مَجَانًا وَتَنْقُلُ مِنْ بِلَادٍ إِلَى أُخْرَى.

وَنَحْنُ فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ قَدْ أَوْضَحْنَا حُدُودَ تَنَاوُلِنَا وَحَدِيثِنَا أَنَّهُ لَنْ  
يَتَعَدَّى التَّعْلِيلَ وَالْإِيضَاحَ لِقَوَاعِدِ مَدْرَسَةِ حَضْرَمَوْتِ، مَدْرَسَةِ الْفَقِيهِ  
الْمُقَدِّمِ، وَلَكِنَّا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لَا بَدَّ أَنْ نَتَجَاوَزَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ

---

ومحاربة الصوفية ومنهج آل البيت النبوي، فلها تسلسل تاريخي عبر الزمان إلى  
الأصول الأساسية الواضعة قواعد الخلاف، وهكذا .

ونشير إلى تاريخ الاعتدال في التصوف كله، لأن مدرسة الاعتدال تمثل رابطاً واحداً ومنهجاً متشابهاً أمام طريفي الإفراط والتفريط، فالشطح والعبارات الموهمة لم تكن محصورة في «التصوف والصوفية» وإنما شملت عدداً من رجال العلم والحديث والأصول، فهناك لهم أقوال وأحكام وعبارات في التوحيد والعقائد وفي الفقه والحديث والجرح والتعديل لا تقل خطراً عن عبارات الشاطحين من الصوفية .

ومع كل هذا فإن السلف الصالح عالجوا هذه المسائل بروية وتعقل ولم يذهبوا مذهب المفرطين الذين حكموا بكفر بعض الصوفية الشاطحين ولا بمروق العلماء المفرطين ولا المفرطين، فمن أقوال سلفنا الصالح بمدرسة حضرموت حول هذه المسائل يقول الإمام الحداد يكتب لبعض مريديه :

« لا تعلق خاطرك بالشيخ ابن عربي ولا بأضرابه فإن ذلك معجزة، وربما دعا بعض الناس إلى الدعوى بما لا يفعله، فعليك بالعلوم الغزالية وما جرى مجراها من الصوفيات والفقهيات التي هي

علوم الشرع، وصريح الكتاب والسنة، فثمَّ السلامة والغنيمة،  
واحتِزَّزَ مما سوى ذلك فإنه ربما يشوش على الإنسان سلوكه»<sup>(١)</sup>.

وكتب الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في «فيض  
الأسرار»<sup>(٢)</sup>: وقد سأل الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفَظي العجيلي  
سيدي أحمد بن علوي جمل الليل باعلوي نفع الله بهما عن  
«الفصوص» لابن عربي، فأجابه رضي الله عنه بما نصه : الذي أراه  
الكفُّ عن الخوض في الإشارات، وعدم صرف الزمن في فهم تلك  
العبارات، وذلك لأن الطالب العامل لا يجعل همَّته متفرقةً إلى غير  
جهة الحق المفيض على كل مُقبلٍ عليه صنوف الإحسان، وتلك  
الرموز والإشارات لا تصلح أن تكون مفيدةً لكل فرد أصالةً، فإن  
صدورها من الشخص الواحد من أولئك القوم لا يدري على أي  
وجهة صدرتْ وعلى أي حال جرت على لسانه، بل إن من أجرى  
الله تعالى على لسانه ما ذُكِرَ إذا كان من أرباب الثبات لا يَقِفُ  
عنده ولا يعمل بمقتضاه في كل آن ؛ لأن كثيراً ما يخيِّل الوهم  
للعارفين صوراً مشتبهةً يقف بسببها في كمال الحياة، وربما ينقطع

---

(١) المكاتبات، مطبوع، (٢: ٢٢-٢٣).

(٢) «فيض الأسرار» للشيخ باسودان، مخطوط، (١: ١٩٧).



بعضهم إذا سار معها، فالحزم كل الحزم في إشغال الوقت وعمارته بما برز من مرشد الكل الهادي إلى الصراط المستقيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، من ذكر وتلاوة وتدبر وعبادة مع خشوع وإفادة وإستفادة، والاشتغال بالسنة وتفهم أسرارها على الوجه الذي أرشد إليه صاحبها، ومضى عليه ورثته من بعده » .

هذا وقد ظهر في مدرسة حضرموت من نسب إليه بعض الشطحات والأقوال الموهمة، إلا أن هذه الأقوال تعرض على حقيقة حال المتكلم بها، فإن وُجد أن حاله التخليط والتخييط فالعبارة نتاج من نتاج خلطه وخبطه، وإن كان حاله الاستقامة وهو مشهود له من أهل عصره بالتقوى والمراقبة لله والولاية فتعتبر هذه المقولة - إن صحت عنه - إشكالاً يُؤوّل عن ظاهره بما يحتمل معنى آخر تسعه العبارة.

وفي هذا المضمار كتب السيد العلامة محمد بن أحمد الشاطري في « أدوار التاريخ » (٢: ٢٥٥) مشيراً إلى انتشار التصوف بحضرموت وأثره في الحياة الفكرية فقال : « وهكذا انتشر التصوف بحضرموت فيما بعد - أي : بعد ظهور الفقيه المقدم - ولكن بصورة مهذبة منتقاة وبعيدة عن الغلو ومجانبة الشرع، وبالرغم من

هذا فإنه لم يخلُ المطافُ عن شخصياتٍ حضرميةٍ كبيرةٍ نُسبَ إليها ما يُخالفُ ظاهرَ الشرعِ من تبجُّحاتٍ وشطحاتٍ كما نُسبَ إلى غيرها من صوفيةِ الأقطارِ الأخرى ؛ ولكن ذلك لم يأتِ عن سوءِ قصدٍ طبعاً لما عُرِفُوا به من مثاليةٍ وإيمانٍ متينٍ، فإذا أُسيءَ تفسيرُ هذه الشطحاتِ فقد عُذِرَ أصحابُها لأنهم قالوها في حالةٍ غيبوبةٍ، ولعلَّ هذا أسلمُ وأحزمُ من أنْ نضعَهُم موقعَ التَّهمِ والعياذِ باللهِ» (١).

وإضافة إلى ما ذكره هؤلاء العلماء، فإنه من المعلوم أن « ظاهرة الشطح والطامات والتبجحات » لا تمثل في منهج سلفنا الصالح ولا في نهج الفرد منهم قاعدةً ولا تُعدُّ أصلاً ينبني عليه أمر الاتِّباع والافتداء، وإنما - إن صحت - حالاتٌ طارئةٌ تعبر عن ذاتها مقرونة بالحال الذي قيلت فيه « لذاتِ القائل » خارجةً عن مألوفِ علمه وطبعه، ولا يُقاسُ بهما عقيدته ولا علمه ولا نهجه في السلوك والمعرفة، لأن بعض الأولياء قد يبلغ بهم الحال المترتب على انفعالٍ معينٍ أو غضبٍ أو تحدُّ أو منافسةٍ أضدادٍ أو غير ذلك من مسببات الإثارة الطبيعية الشاذة، أو يكون في حالة فرح واستئناس برحمة الله، وما يطرأ من الوجد والشوق بعد تمام طاعة أو عبادة فتنزلق من

---

(١) « أدوار التاريخ » (٢: ٢٥٥) .

لسانه كلمة أو عبارة توهم الشك في ظاهر لفظها، وتثير الاستغراب عند تأمل معناها، فيثبتها المريدون المتنافسون ويروجون خبرها بين الأنداد والأضداد كعبارة متميزة وذات مدلول خاص، وكان الأولى والأثبت والأسلم أن لا تُروى ولا تُكتب لأنها لا تعد عند « أهل الطريق » فضيلةً أبداً، بل هي ليست « عند أهل الثبات مطلباً ولا غاية » .

#### أوائل تلاميذ الفقيه المقدم

استطاع الأستاذ الأعظم في حياته المباركة بتوفيق الله تعالى وعونه أن يبرز منهجه الأخلاقي مشفوعاً بالمفهوم الصوفي العالمي المتمثل في مساندة المدرسة الشعبية المغربية، ومدعوماً بالاستجابة المحلية التامة من قبل المشايخ القائمين بذات الدعوة في أودية حضرموت وعلى رأسهم الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، ولم يمر زمن قصير إلا وقد برزت آثار هذه الدعوة المباركة يتصدرها كبار علماء وشيوخ حضرموت، وكان من أبرز الرجال الآخذين منهج العلم الروحي على يد الفقيه المقدم عددٌ من الشيوخ ومنهم:

## ١ - الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن باعباد<sup>(١)</sup>.

(١) ترجم له في « طبقات الخواص » بما مثاله مختصراً : كان من أبرز مشايخ حضرموت قدراً وأعظمهم شهرة، صحب في البداية الشريف الصالح محمد بن علي باعلوي واستفاد منه واقتبس من علومه، وكان الفقيه يحبه حباً شديداً، ثم رحل إلى الشيخ أحمد بن أبي الجعد وأخذ عنه وانتفع به، ولقي الشيخ أبا الغيث بن جميل وغيره من الأكابر وانتفع بهم.

واشتهر كثيراً في البلاد وحتى قصده الناس من نواح شتى، وتبعه خلق كثير حتى إنه قصد مرة زيارة قبر النبي هود عليه السلام في حوالي ألف وخمسمائة نفس، وكان للشيخ باعباد كلام حسن في التصوف ومكاتبات مفيدة إلى أصحابه وكرامات وأحوال ظاهرة، وكان متباعداً من الدنيا كثير الذم لها، وكان ينهى أصحابه من الاحتباء حال الأذان لأنها حال دعوة إلى أداء أمر الله تعالى، وحقها المبادرة إلى الامتثال وترك التمكن بالجلوس، وكان إذا أراد أن يؤدب بعض أتباعه لسوء أدب يصدر منه ألزمه مزيداً من أوراده.

توفي آخر سنة ٦٨٧ ودفن بمقبرة مدينة شبام، وقريته معروفة هناك وله ذرية كبيرة يعرفون إلى اليوم بآل باعباد، ومساكنهم حضرموت . انتهى عن « طبقات الخواص » ص ١٧٦-١٧٩ بتصرف وزيادات من المؤلف.

وجاء في « الترياق » أن الفقيه المقدم كان يحب الشيخ عبد الله حبا جما ويقول: « لو كان الشيخ عبد الله قذاه في عيني لما جرحته » كل ذلك من محبته له ثم من حسن تربيته له.

٢- الشيخ عبد الرحمن بن محمد باعباد<sup>(١)</sup>.

٣- الشيخ عبد الله بن إبراهيم قشير<sup>(٢)</sup>

٤- الشيخ سعيد بن عمر بالحاف<sup>(٣)</sup>.

٥- الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل<sup>(٤)</sup>.

---

(١) عبد الرحمن محمد باعباد هو أخو الشيخ عبد الله وقرينه في الأخذ والطلب والانتفاع بسيدنا الفقيه المقدم، وكان له الانطواء الكامل والمحبة الفائقة حتى نال بذلك المقام الأسنى .

(٢) عبد الله بن إبراهيم باقشير من كبار الأئمة العلماء بحضرموت، كان ممن اشتهر بصحة الفقيه المقدم وانتفع به كثيرا واستفاد منه علما غزيرا، قال فيه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي لما زار قبره : صاحب هذا القبر صاحب لواء يوم القيامة، هذا رجل يباهي الله به ملائكته، هذا رجل في وجهه غرة كوجه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم . وكان كثير التبجيل والتعظيم والاحترام لآل البيت النبوي، لما هم من الشرف الطاهر والنسب الفاخر.

(٣) الشيخ سعيد بن عمر بالحاف من أكابر تلاميذ الفقيه المقدم الذي انطوت وشائجهم في وشاحه، ومن انتفع به انتفاعا خاصا وعاما حتى بلغ به المراتب العلية في قدم الطريق وارتبط حاله بحال شيخه حتى كان يراه في أحواله كلها بصور ومقامات ومراتب راقية، أشار إليها كتاب « الترياق » وغيره.

(٤) أحد كبار التلامذة الذين انتفعوا بالأخذ الكامل عن الفقيه المقدم، عاش بترميم وتوفي بها، وكان من الشيوخ الأفاضل الذين كانوا في غاية من الإخبات والقيام بالطاعة لله تعالى مع كمال الورع والزهد والتواضع. أنفق حياته في سبيل العلم

٦- الشيخ علي بن محمد الخطيب <sup>(١)</sup> .

٧- الشيخ أحمد بن محمد الخطيب <sup>(٢)</sup> .

٨- الشيخ سعد بن عبد الله أكدر <sup>(٣)</sup> .

---

والتعليم مع الصبر على شظف العيش، وعرف بفنائه الكامل في محبة أهل البيت النبوي والانطواء فيهم.

(١) من فقهاء وعلماء تريم الأكابر الذين تحدد أخذهم عن الشيوخ وكان فتحه وانطواؤه الكامل في شيخه الفقيه المقدم، وقد أمضى حياته كلها في نشر العلم بتريم متنقلا بين زواياها ومساجدها، عاصر المجالس بالعلوم الفقهية والحديث والصوفية منطرحا كل الانطراح لشيوخه من آل البيت النبوي الذي يأتي في مقدمتهم الإمام الفقيه المقدم.

(٢) من المشايخ الأفاضل، ولد بتريم وترى فيها، وكان جُلُّ أَخْذِهِ وانتفاعه على الفقيه المقدم وتخرج به وقضى معظم حياته بعد الفقيه متصدرا في التعليم بمسجد تريم وزواياها مع الغاية في التواضع وحب الخمول والزهد في الدنيا، حتى توفي بتريم ودفن بها.

(٣) من مشايخ العلم الصالحاء الذين عرفتهم تريم ونواحيها، ومن هذا البيت استشهد الشيخان يس وأحمد ابنا سالم بن أبي أكدر في فتنة الزنجيلي سنة ٥٧٦، وقد نشأ الشيخ سعد على غاية من الاجتهاد في طلب العلم وأخذ الطريق على يد شيخه الإمام الفقيه المقدم حتى برز في الطاعات والأوراد وفي العلوم على كثير من أقرانه، وأقامه الله حجة في العلم والعمل وانتفع به خلق كثير، ومع هذا فقد كانت حرفته الخياطة وكان يذكر الله مع كل قطعة يخطها في الثوب، وخاط مرة قميصا، ولما فرغ منه تذكر أن قطعة منه لم يذكر الله تعالى عندها فنقض

- ٩- الشيخ علوي بن الفقيه المقدم.  
١٠- الشيخ عبد الله ابن الفقيه المقدم.  
١١- الشيخ أحمد ابن الفقيه المقدم.  
١٢- الشيخ عبد الله بن علوي ابن الفقيه المقدم.  
١٣- الشيخ أبو بكر بن أحمد ابن الفقيه المقدم.

هؤلاء من طلائع التلاميذ والمريدين الآخذين عن الفقيه إبان حياته وتصديره في تريم، ولم يكن التلاميذ محصورين في هذا العدد المذكور، بل كان المجتمع كله مستجيباً لدعوة الإمام الفقيه المقدم، منتفعاً بعلومه، ملتفاً حول مدرسته، محبا لشخصيته التي بناها بالصدق مع الله والإخلاص في العلم والعمل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

---

خياطة القميص ثم خاطه مرة أخرى وهو يذكر الله، توفي في جماد الآخر عام ٧٧١ . انتهى عن «الجوهر الشفاف» ص ٢٣٨ .

## الفقيه المقدم مثال في العلوم وفي الكسب الحلال

كان من أهم مميزات مدرسة الإمام الفقيه المقدم أنها مدرسة جمعت في دعوتها بين شقي العلم والعمل، وبين التوكل والتعرض للأسباب، وإذ كان المتأخرون قد تشوشت فهمهم عن السلف حيث لم يعرفوا شيئاً عن حياتهم العملية، وعن طلبهم للرزق بأسباب الكسب الحلال، فعليهم أن يتأملوا في حقيقة حال هؤلاء الأئمة من أهل البيت في حضرموت وكيف تفردوا في صوفيتهم وفي علومهم وأعمالهم .

وبرغم أن الدعوة إلى الكسب الحلال وبذل الأموال في صنوف أوجه الخير هي ديدن آل البيت منذ عهد الإمام المهاجر<sup>(١)</sup>، إلا أن الفقيه المقدم رسخ هذا التوجه وأورثه أكابر أهل بيته كي لا يكونوا عالة على أحد من الناس، وفي هذا المضمار كتب السيد صالح الحامد في « تاريخ حضرموت »: « إن أجدادنا الصوفية لم يكونوا كما يظن بهم من التخلي عن الأسباب، وترك السعي على العيال،

---

(١) خرج الإمام المهاجر من العراق وهو يحمل معه ثروة طائلة من الذهب، ولما وصل إلى حضرموت اشترى في وادي دوعن عقاراً ثم وهبه لأحد مواليه، ثم اشترى غيره ووهبه لآخر وهكذا . عن « تاريخ حضرموت » ص ٧١٩ .



بل كانوا بخلاف ذلك، إذ لم يمنعهم التصوف من عمارة أوديتهم بالزراعة وغرس النخيل حتى صار في تلك العهود جنانا غناء، فقد روى الثقة من المؤرخين أن الأستاذ الفقيه المقدم كان هو المثل الأعلى في ذلك، كان يرزم - أي : يملأ - من التمر ثلاثمائة وستين زيرا من التمر الفاضل عما يستهلكه أيام الرطب . اهـ<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه التمور المخزونة تنفق على الفقراء والمحتاجين وذوي العسرة، حيث كان يتصدق كل يوم بزيد من تلك الأزياد المحفوظة على عدد أيام السنة.

كتب السيد صالح الحامد في « تاريخه » : وأما كرمه فحدث عنه ولا حرج، فقد واسى من تقدم ودرج، وتقدم في الجود على من مضى وفاقه، وترك الناس بين يديه ذوي فاقة، وكانت داره مشيدة البناء، رحبة الفناء، تلجأ إليها الأيتام والفقراء والأرامل، ويفد عليه الراجي والآمل<sup>(٢)</sup>.

وكتب السيد محمد بن أحمد الشاطري في « الأدوار » ص ٢٦٨ :  
وذكرت مصادر أخرى أن الإمام الفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ص ٧٢٦ .

كان يكبس «يرزم» من التمر بعد الاستثمار والصدقة في جرارٍ معدّة له ما يُقدَّرُ بمئة ألفٍ وعشرين ألفٍ رطلٍ سنوياً، ولحفيدة الإمام عبد الله بن علوي بن الفقيه أطيّانٍ وتمورٌ لا تكاد تحصى، ولا يدخرُ منها إلا القليلَ لأنه يشرك فيها الفقراء والمعوّزين، وقد جمع السيد عمر بن محمد العلوي من ودك الغنم التي كان يرسلها له ثلاثين منّا - والمن ثمانية وعشرون رطلاً - في شهر واحد، ومن أوقفه على مسجد باعلوي بتريم ما قيمته تسعون ألف دينار ذهباً من الأطيّان والنخيل والآبار. انتهى .

ومع هذا الاتساع في الكسب وإنفاقه في سبيل الله، فقد كان الفقيه على غاية من التواضع والخمول، حتى أنه كان يحمل السمك في كفه من السوق إلى أهله تواضعاً، وكان إذا جاءه ضيف يجلسه على زير التمر ليأكل منه حاجته وليلتمس بركة أيدي المسلمين<sup>(١)</sup>.

---

(١) الترياق ٩٢ .

## أسرة الفقيه المقدم

تعتبر التربية المنزلية في منهج التصوف أساس الحياة الأسرية، ومنطلق توجه أفرادها، وكان آل البيت في حُضرموت يعتنون بالتربية المنزلية اعتناء تاماً، وبها تخرج أئمة الرجال وصالحات النساء، وتروي كتب التراجم من هذه المواقف نماذج عديدة كلها تدور حول اهتمام الواقع كله بمسألة التربية، ومن البديهي جداً أن المجتمع الذي تبدأ الأسرة فيه بالتربية يكون المجتمع كله على جانب من التعاضد والتآزر في هذا المضمار، ولهذا يقال عن تريم : « تريم شيخٌ مَنْ لا له شيخٌ »، وهذا يدل على انتشار أثر الاهتمام بالتربية من المنزل إلى الحياة العامة، والفقيه المقدم كان في عصره رجل التربية الأول، وبتوجيهه ورعايته سار المجتمع الحضرمي سيرة الاقتداء الكامل بالأسوة الحسنة صلى الله عليه وآله وسلم، وسار أيضاً في هذا المسلك أهل بيته وذووه، فزوجته الصالحة التقية زينب بنت عمه أحمد كانت من أكثر من يليه عوناً له على منهجه في الحياة العامة والخاصة، لقبت بأم الفقراء اقتداءً بزينب زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكثرة صدقتها على الفقراء والمساكين،

بل رُشحت من بعده للقيام بكثير من الأمور التي كان الفقيه المقدم يجريها على الناس، وكان الفقيه المقدم هو الذي رشحها في حياته لقوة شخصيتها، ولاستعدادها وكفاءتها، فصار تلامذة الفقيه وزواره يقصدونها للاسترشاد والتبرك والاستشارة، وكانت ترتب النفقات الخاصة بالرباط المنسوب لزوجها بعد وفاته، كما اعتنت في حياة الفقيه بأولاده غاية الاعتناء، تحثهم على الطاعات وتدلهم على ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وتأمرهم بالذهاب إلى المساجد ومرافقة أبيهم في كل مواقع العلم والذكر ومجالس السلوك<sup>(١)</sup>.

وبهذه التربية الصالحة برز أبناء الفقيه المقدم في حياته على غاية من الاستقامة وحسن السلوك، فابنه الأكبر علوي - وهو الذي يَكْنَى به الفقيه - بلغ مرتبة عظمى في الاهتداء والاقتداء، وكذلك بقية أبناء الفقيه، وهم عبدالله وأحمد، وقد تزوج كل هؤلاء في حياة والدهم، وأنجب كل منهم من الأبناء والبنات ما قرت به عين جدهم الفقيه، فالشيخ علوي أنجب عبدالله وعلياً، والشيخ عبدالله أنجب محمداً وفاطمة، والشيخ أحمد أنجب أبا بكر وعلوياً وعمراً،

---

(١) وكانت وفاة الشیخة زینب أم الفقراء يوم السبت ١٢ شوال ٦٩٩ بتريم، ودفنت بمقبرة زینل رحمها الله رحمة الأبرار .

وكان هؤلاء الصغار يدبّون خلف آبائهم إلى المسجد يحضرون الصلوات ويقتبسون النور من مواقع الطاعات، حتى صار يطلق عليهم لقب «حُميمات المسجد» تصغيراً لاسم الحمامات، لكثرة ملازمتهم لآبائهم فيها .

### آثار الفقيه المقدم

بنى الفقيه المقدم في حضرموت صرحاً من العلم والترية بناء راسخاً متمكناً أساسه الصدق مع الله وبذل الجهد في إصلاح الإنسان وأسباب حياته الدينية والدنيوية ، وهذا من أعظم آثاره التي طبقت بقاع العالم الإنساني كله ، إذ شهدت حضرموت منذ ذلك الحين تحولا واسعا في الحياة الفكرية ، ورست الطريقة العلوية علما وعملا وذوقا متفردة الرؤية متميزة الأهداف ، تبرز في سلوك تلامذة الفقيه ودائرة أتباعه وأبنائه وأسرته الصالحة، كما ترك رباطاً علمياً من أعظم أربطة البلاد حشداً ونفعاً وأثراً وتأثيراً كان يحمل اسمه ويدرس منهجه<sup>(١)</sup> ، كما ترك أراضٍ زراعية جمّة فيها من

---

(١) ورد ذكر هذا الرباط في «أدوار التاريخ» (٢: ٣٠٨) ، وقال عنه الشاطري في

النخيل والزروع ما لا يحصى يصرف معظمه في سبيل المصالح العامة<sup>(١)</sup>.

وأما آثاره المكتوبة فلا يُعلم منها الآن شيء إلا ما ورد في كتب التاريخ الحضرمي بلفظ العموم كقول السيد المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري في «الأدوار» (٢: ٣٠٢) : وله كتب أخرى في التصوف والحقائق ، وبينه وبين بعض علماء عصره في الخارج مراجعات ونقود وردود . اهـ . وزاد الشاطري في الحاشية معلقاً : وكتبه خطيةً وعزيرةً الوجود .

ومما بقي من آثار الفقيه المقدم مثبتاً في كتب الأدعية والأذكار هذا الورد المنسوب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انقلنا والمسلمين من الشقاوة إلى السعادة ، ومن النار إلى الجنة ، ومن العذاب إلى الرحمة ، ومن الذنوب إلى المغفرة ، ومن الإساءة إلى الإحسان ، ومن الخوف إلى الأمان ، ومن الفقر إلى الغنى ، ومن الذل إلى العز ، ومن الإهانة إلى الكرامة ، ومن الضيق

---

الحاشية : لم تعطنا المصادر تفاصيل عن ذلك الرباط .

(١) المصدر السابق ص ٣٠٦ .

إلى السعة ، ومن الشر إلى الخير، ومن العسر إلى اليسر ، ومن  
الإدبار إلى الإقبال ، ومن السقم إلى الصحة ، ومن السخط إلى  
الرضى ، ومن الغفلة إلى العبادة ، ومن الفترة إلى الاجتهاد ، ومن  
الخذلان إلى التوفيق ، ومن البدعة إلى السنة ، ومن الجور إلى العدل.  
اللهم أعنا على ديننا بالدنيا ، وعلى الدنيا بالتقوى ، وعلى  
التقوى بالعمل، وعلى العمل بالتوفيق ، وعلى جميع ذلك بلطفك  
المفضي إلى رضاك، المنهي إلى جنتك ، المصحب ذلك بالنظر إلى  
وجهل الكريم .

يا الله (٣) ، يا ربه (٣) ، يا غوثاه (٣) ، يا أكرم الأكرمين ،  
يا رحمن يا رحيم ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا المواهب العظام ،  
أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه .

اللهم أسألك التوفيق لمحابة من الأعمال ، وصدق التوكل  
عليك، وحسن الظن بك ، والغنية عن سواك . إلهي ، يا لطيف ،  
يا رزاق ، يا ودود ، يا قوي ، يا متين : أسألك تألهاً بك ،  
واستغرافاً فيك ، ولطفاً شاملاً من لدنك ، ورزقاً واسعاً هنيئاً مريئاً،  
وسناً طويلاً ، وعملاً صالحاً في الإيمان واليقين ، وملازمة في الحق

والدين ، وعزا وشرفا يبقى ويتأبد ، لا يشوبه تكبرٌ ولا عُتُوٌ ولا  
فساد ، إنك سميع قريب .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب  
العالمين<sup>(١)</sup>.

### وفاة الفقيه المقدم

سارت حياة الفقيه المقدم منذ رفعه لراية الفقر والانكسار في  
ذات الله سيراً حثيثاً وسريعاً إلى النجاح وبروز الثمرات، فقد كفى  
نفسه وأبناءه وكافة من يتبعه هم التربص والحذر من الأضداد  
والحساد، وبدأ رسم طريق البناء الأخلاقي وإصلاح الإنسان من  
داخله بضوابط السلوك العملي في الإسلام، واتسع هذا المنهج  
واستأنس الضدُّ والموافقُ بهذا الاتجاه، وهرع الجميع إلى حلقات  
الإمام الفقيه راضين مطمئنين، مستشعرين في عباراته المحبة  
والإخلاص والصدق والرغبة في إحياء القلوب .

---

(١) «مخ العباد» ص ٨١ .



ولم يزل الفقيه على هذا المنوال من تأسيس منهجه المبارك مهيباً جملة تلاميذه وأبنائه ليحملوا هم المنهج والمدرسة من بعده فأقر الله عينه بذلك، وامتألت عينه برؤية العشرات من تلاميذه وعليهم السكينة والأدب والخضوع لله والانكسار .

وعندما بلغ من العمر مبلغ الشيخوخة أخذته الأحوال فكان يغيب إحساسه عما حوله مستغرقاً في عالم خاص يسمى عند أهل الطريق بالاصطلام<sup>(١)</sup>، وكان آخر عهده بالحياة اصطلامه مئة يوم كامل لا يطعم فيها طعاماً ولا يشرب شراباً، وتجري على لسانه أخبار غريبة وعبارات عجيبة عن الناس وأحوالهم، وشيئاً مما سيكون في الحياة، كل ذلك على غير قصد منه ولا شعور .

ولما طال به الأمد على هذه الحالة سقاه بعض أهله شيئاً من لبن كان عندهم رحمةً به وإشفاقاً، فنطق وقال : «كأنكم ضَجَرْتُم مِنِّي» أو كلمة بمعناها، ثم ذكر ربه وفاضت روحه إلى مولاه، وكان ذلك ليلة الجمعة من ليالي ذي الحجة سنة ٦٥٣ .

---

(١) الاصطلام : حالة من حالات الشهود النورانية يغيب فيها الحس على شكل استغراق روعي يفقد فيه الولي حواسه الظاهرة لغلبة حال أو كثرة ذكر أو طول تأمل في قراءة متدبرة لكتاب الله .

وبكاه أهل العصر والمصر، ثم شيع في جنازة مهيبة إلى مشواه  
الأخير، رحمه الله رحمة الأبرار .

### الخاتمة

أيُّها القارئُ الكريم ..

هذا نموذجٌ وضعناه بين يديك من نماذج السلفِ الصالحِ الذين  
عاشوا قدوةً وماتوا وصاروا لأجيالٍ عديدةٍ أسوةً ومثالاً، ولم  
يكونوا كذلك إلا لأنهم صدقوا في حقيقةِ اتِّباعِهِم للمتَّبوعِ الأعظم  
صلى الله عليه وآله وسلم، رحمهم الله رحمة الأبرار .

وغرضنا في هذا البيان والترجمة ليس مجردَ الكتابةِ عنهم فقط ؛ لأن  
السابقين ما تركوا شيئاً إلا وأتقنوه، وقد كتبوا بِلِسَانِ عَصْرِهِمْ بما فيه  
الغنية والكفاية .

ولكنها ضرورةُ الزمان وإلحاحُ العصر ووجوبُ المرحلة ألزَمَنَا أن  
نُعِيدَ الصياغة ونكتبَ لجيلنا بلسان عصره ما يوضح لهم حقيقةَ حالِ  
السلف، خصوصاً وقد برز في الواقع ما أُنذِرَ بحصوله في الأمة نبيها

صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أن يكون من علامات الساعة  
«الطعن في السلف» .

ولا مَزِيدَ على ما نسمعُه ونقرؤه من مطاعن، وكفى بما يجري  
آيةً وعلامةً تُنبئ عن صدق النبوة المحمدية، ولهذا ولذاك جعلنا  
الترجمة مُلبيةً لذهن قارئ العصر ومستوى علمه وثقافته، ولا نطلب  
بهذا غير رِضاءِ الله تعالى، وخدمةً لرجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله  
عليه .

جمع هذه الترجمة طلباً لمرضاة الله تعالى ورغبة في عفوه ورحمته  
وحباً لأوليائه وانتصاراً لأحبابه وشفقةً بالأجيال المخدوعة  
من أحفاد الصالحين وأبناء المتقين الفقير إلى عفو مولاه  
الغفور أبوبكر العدني ابن علي المشهور  
وتم الفراغ من هذه النسخة ٥  
ذي الحجة سنة ١٤١٤  
بمدينة جدة  
المحروسة





## الفهرس

٥	المطلع القرآني
٧	الإهداء
٩	شاهد الحال
١١	المقدمة
١٣	من هو الفقيه المقدم ؟
١٤	شيوخه
١٤	ترجمة الشيخ علي بن أحمد بامروان ( حاشية )
١٤	ترجمة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن باعبيد ( حاشية )
١٨	الفقيه المقدم والشيخ سعد الظفاري
٢٢	الفقيه المقدم والشيخ سفيان اليميني
٢٢	ترجمة الشيخ سفيان اليميني ( حاشية )
٢٥	تأسيس المدرسة الصوفية العلوية بحضرموت
٢٦	ظهور المدرسة الصوفية القادرية في المشرق
٢٦	ترجمة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ( حاشية )
٢٨	ظهور المدرسة الصوفية الشيعية في المغرب
٢٨	ترجمة الشيخ شعيب أبي مدين ( حاشية )
٢٩	الفقيه المقدم والارتباط بالطريقة الشيعية
٣٣	مبعوث الشيخ شعيب في حضرموت
٣٤	قرار التحول ونتائجه
٤٤	زي الفقراء وكسر السيف
٤٦	نقل عن السيد علي بن حسن العطاس حول كسر السيف

(حاشية)

٤٨	الشيخ سعيد بن عيسى العمودي
٥٠	أهداف الفقيه المقدم في الأخذ بطريق التصوف
٥٢	سبب تسمية الشيخ بالعمودي ( حاشية )
٥٣	أسانيد الاتصال
٥٣	استقصاء للأثبات العلوية وكتب علم الإسناد ( حاشية )
٥٨	مطلب تحقيق سند الخرقه ( حاشية )
٦٧	مدرسة التصوف بمحرمات وضوابطها الشرعية
٧٦	تعليل قرار الفقيه المقدم وأسباب نجاحه في التحول
٧٨	وصف الإمام الحداد لسلسلة التصوف
٨١	المآخذ المحسوبة على التصوف
٨٥	ضوابط طريق التصوف بمحرمات عند الإمام الحداد
٨٧	الضوابط المميزة بين الكرامة للولي والاستدراج للمدعي
٨٩	الكرامات والخوارق
٩٧	ضوابط الشطحات والعبارات الموهمة
١٠٢	أوائل تلاميذ الفقيه المقدم
١٠٧	الفقيه المقدم مثال في العلوم وفي الكسب الحلال
١١٠	أسرة الفقيه المقدم
١١٢	آثار الفقيه المقدم
١١٥	وفاة الفقيه المقدم
١١٧	الخاتمة